La Comédiathèque

صورة عائلية

تأليف: جان بيير مارتينه

ترجمة: منال ممدوح يوسف

comediatheque.net

هذا النص متاح للقراءة مجانًا. قبل أي استخدام عام أو مهني أو من قِبل الهواة، يجب عليك الحصول على إذن من الكاتب، الذي هو عضو في جمعية المؤلفين والملحنين المسرحيين، من خلال نموذج الاتصال على موقعه: https:// /comediatheque.net/contact-form

صورة عائلية

تأليف: جان بيير مارتينه

ترجمة: منال ممدوح يوسف

أربعة أشقاء (رجلان وامرتان) يتقابلون بالكاد، يجتمعون للمرة الأخيرة، بعد وفاة والدايهم، لبيع منزل العائلة الذي كانوا يقضون فيه أجازتهم الصيفية وهم صغار. ولكن يبدو أن لديهم حسابات أخرى لتصفيتها غير الميراث.

الشخصيات

بيير

جوزيان

جيف

فريدري

في الصباح

حجرة المعيشة، داخل المنزل الذي كانوا يقضون فيه العطلة الصيفية، مؤثثة بأثاث بسيط للغاية. بالداخل مدفأة صغيرة لا يوجد بداخلها وقود. يظهر بيير بهيئة المثقف اليساري من داخل المطبخ حاملًا غلاية الماء الساخن ويضعها على المنضدة بجانب علبة النسكافيه العائلية. يستكشف بيير جميع أرفف خزانة الأواني ويجد في آخر رف كوبًا فيضعه على المنضدة. يعاود البحث في الأدراج عن ملعقة صغيرة. يجلس بيير ويسكب لنفسه كوبًا من القهوة وينقض على قطع البسكويت المتبقية داخل العبوة. نسمع صوت خافت لرنين هاتف محمول. يحتسي بيير قهوته ويلتهم كل البسكويت أثناء قرأته لجريدة اقتصادية. رؤية أكبر عناوين الجريدة تمكننا من تحديد زمن الأحداث: " بعبع عام *2000*: الأسواق قلقلة بشأن حلول الألفية الجديدة". تمضي لحظات، يظهر جيف مرتديًا بيجامة مُقَلَّمة، يبدو عليه عدم الاستيقاظ التام ويمشي ببطء.

جيف (وهو يتثاءب): ارتديت ملابسك؟

بيير (مستكملًا قراءة الجريدة): أكره التسكع بالبيجامة، يوجد ماء ساخن ونسك...

تحت نظرات بيير المندهشة، يُخرج جيف كوبًا ومعلقة صغيرة من الخزانة بعد أن أصاب مباشرة الرف الصحيح والدرج الصحيح لكلًا منهما. يجلس ويسكب لنفسه كوبًا من القهوة ويتناول علبة البسكويت وكله أمل، ولكنه يكتشف أنها فارغة فيضعها وهو محبط.

جيف: ألا يوجد بسكويت...؟

يرد بيير الذي التهم العلبة بأكملها دون ذرة ندم.

بيير: حسنًا، لا، كما ترى...!

ينزعج جيف، ولكنه لا يتكلم، ويستطرد بيير.

بيير: أنت تذكرني بوالداتنا... عندما كنا نسألها "ألم يبقى شيئًا من الشكولاتة؟" كانت تُجيبنا قائلة: " بصراحة، لا يوجد ما يكفيكم..."

يُفضل جيف عدم الرد وينتقل بيير إلى موضع آخر.

بيير (وهو يتنهد بانزعاج): لم يغمض لي جفن طوال الليل بسبب تلك العاصفة...

جيف: أي عاصف؟

بيير (متعجبًا): لا تقل لي أنك لم تسمع شيئًا! لقد كانت مثل طلقات المدافع...

لا يُبدى جيف أي ردة فعل ويراقبه بيير بنظرة أنثروبولوجي.

بيير: ما زلت تمشي أثناء الليل، أليس كذلك؟

ردًا على ذلك، بدأ جيف في تقليب قهوته بشكل لا إرادي.

بيير: هل تتذكر ذاك المقلب الذي دبرناه لك، عندما ايقظناك الساعة الحادية عشر مساءً وجعلناك تتوهم أنك لم تسمع صوت المنبه وأن عليك الذهاب للمدرسة. لقد تركناك تتناول ما كنت تعتقد أنه وجبة الإفطار وخرجت... لولا تدخل أمي التي أحضرتك من الخارج. لقد كنت ذاهبًا إلى المدرسة بالبيجاما يوم الأحد في شهر أغسطس...

يبدأ جيف يحتسي قهوته دون أن يرد.

بيير (يعود للوقت الحالي): نمت بالكاد، واستيقظت على صوت عربات القمامة! أما زالت تمر هذه العربات في الوقت نفسه... الخامسة صباحًا. عندما كنا في سن العشرين، لم تكن تلك العربات لتيقظنا، فقد كنا نعود من الخارج في وقت مرورها...

جيف: ...

بيير (مندهشًا): وأنت، هل نمت جيدًا؟

جيف: كنت متعبًا قليلًا بسبب المسافة التي قطعتها أثناء القيادة... عندما نكون بمفردنا أثناء القيادة... حقًا، ألم تنجح بعد في اجتياز اختبار رخصة القيادة؟

بيير: لقد حاولت ولم اجتازه.

جيف: مرة واحدة! عليك أن تُصِر عليه مجددًا...

بيير: أنا لا أحتمل الفشل. ربما لم أخلق لأتعلم القيادة، هذا ما في الأمر. ثم عندما أري كل هؤلاء الحمقى على الطريق... هل رأيت ما حدث بالأمس؟ كدت أن تفقد أعصابك، خذ هذا على سبيل المثال، شخص مهذب، لطيف، يقود بشكل متوازن مثلك، بمجرد أن يقود سيارته على الطريق يكون على استعداد، بعد عشر دقائق، عليه أن يشتم أو يتعارك مع أي شخص. كيف تفسر لي هذا؟

مندهشًا من قلة رد فعل أخيه المنشغل بتقليب القهوة، ينهض، بيير ويفحص المكان بنظرة دائرية.

بيير: لم يتغير شيء بالمكان. لم آت إلى هنا منذ خمسة عشر عامًا، وأنت؟

جيف: كنت هنا منذ عامين مع كاترين والأولاد لكني لم آت إلى هنا مطلقًا في الشتاء.

يقترب بيير من المدفأة وينفخ في يديه ليشعر بالدفء.

بيير: لا أفهم لماذا...

يتوقف امام المدفأة التي يوجد بأعلاه علبة ثقاب ومصباح أسيتيلين وصورة مدرسية بالأبيض والأسود ملونة للأخوين مرتديان مريلة زرقاء وللأختين مرتديتان مريلة وردية.

بيير: هل تعتقد أن المدفأة تعمل؟

جيف: كنا نأتي دائمًا في شهر أغسطس... لم يستخدمها أحد منا قط...

بيير: هذا لا يعني أنها لا تعمل...

يبحث بيير بنظره.

بيير: لدينا الثقاب بالفعل، ينقصنا فقط الخشب...

يشير إليه جيف بإشارة تعني أن يتخلى عن الفكرة. يبدأ بيير يلف في الغرفة ويفتش فيها.

بيير: متي يكون موعدنا مع المحامي؟

جيف: الساعة الثالثة، إذا لم يغير المشتري رأيه.

يفرك بيير يديه من جديد لتدفئتها.

بيير: لو أنه جاء في الصيف لكان من المستحيل أن يغير رأيه...

يلقي بيير نظرة من النافذة.

بيير: هل تعرف من هو هذا الشخص؟

جيف: أي شخص؟

بيير: المشتري!

جيف: تواصلت معه مرة واحدة عبر الهاتف... يسكن في باريس، ويعمل في العلاج الطبيعي، على ما أعتقد...

بيير: هل هو شخصية لطيفة؟

جيف: ما الذي يهمنا في ذلك؟

بيير: لا شيء...

لحظة

بيير (بشيء من التحفظ): هل فريدريك وجوزيان سيأتيان معًا؟

جيف: جوزيان أخذت قطار المساء. من المفترض ان تصل هذا الصباح. فريدريك اتصلت بي منذ قليل وعَلِمتُ أنها في المطار. لقد استيقظت على مكالمتها...

بيير: هل رحلتها ذهاب وعودة في نفس اليوم؟

جيف: لا أعرف...

يشرب جيف قهوته. بعد أن لَفَّ في الغرفة، يقف بيير مرة أخرى أمام المدفأة ويمسك بلوحة الأطفال الأربعة.

بيير: أنا لا أتذكر هذه الصورة. كيف جاءت إلى هنا...؟

جيف: على ما أعتقد، إنها أمي التي جاءت بها إلى هنا، في المرة الأخيرة التي جاءت فيها مع أبي قبل أن يغادر إلى الأمازون مباشرةً...

يتأمل بيير الصورة بابتسامة تجمع بين السخرية والمرارة.

بيير: إنها مضحكة، هل رأيتها؟ صورة بالأبيض والأسود ملونة بالقلم الرصاص. اعتدنا أن نفعل ذلك في هذا الوقت. الصور الملونة، كانت لا تزال قيد التجربة.

جيف: ألا يجعلنا هذا نبدو أصغر سنًا...؟

بيير: لا، أبدو كأني عجوز في فيلم بالألوان...

يركز بيير هذه المرة في تأمل التفاصيل لا في تأمل المظهر.

بيير: عجيب رؤية هذه الصورة... إنها تُظهر كل شيء، أليس كذلك؟

يجد جيف صعوبة في استكمال الحوار. كان يُفضل أن يحتسي قهوته بهدوء حتى يفيق.

جيف: أي شيء تُظهر...؟

بيير: في الصورة! ملامحنا تُنْبِئُ بما أصبحنا عليه الآن... فريدريك بابتسامتها المصطنعة. جوزيان بنظرتها الساخرة. أنت تبدو غير مبال بشيء وأنا أبدو مثل جرو مضروب.

يستكمل جيف شرب قهوته دون أن يرد. على ما يبدو أن بيير معتاد على ردود الفعل الغريبة هذه من أخيه ولم يعد يبالي بها.

بيير: هل تتذكر متى أُلتقت هذه الصورة؟

جيف: لا.

بيير: ولا أنا. هذا مضحك، أنا لا أتذكر أي شيء من طفولتي. كما أنني ليس لدي الكثير من الصور لي وأنا طفل حتى لتمكنني من التذكر.

جيف: في ذلك الوقت لم نكن نلتقط الكثير من الصور مثل يومنا هذا.

بيير: هذا صحيح، أمَّا الآن، فقد أصبح هناك هوس بتصوير كل شيء. هل تعلم أن جيروم سجل ولادة فريدريك بكاميرا الفيديو؟ لا أعرف ما إذا كانوا يعيدون تشغيله السبت مساءً... كان عليهم أن يسجلوا حفل زفافهم أيضًا وجمع الفيديوهات في فيلم واحد وثائقي. هل تعلم، يشبه هذا كثيرًا برنامج عالم الحيوان. أنا أعشق برامج الحيوانات، عادة ما تتضمن التعليقات جُملًا مُطَمِئنة وعقلانية مثل "كل هذا من صنع الطبيعة والإنسان لم يخترع شيئًا" او مثل " تتغذي الكائنات القوية على الكائنات الضعيفة حتى لا يبقى منها الكثير" ومثل "الكائنات الأضعف محكومٌ عليها بالموت، هذا مُحْزِن، ولكن هذا من أجل الحفاظ على نقاء السلالة".

يتأمل بيير الصورة من جديد.

بيير: على أي حال، كنت أود معرفة كيف كان شكلي وأنا طفل رضيع. أعتقد أن هذه هي أقدم صورة رأيتها لنفسي. ربما كنتُ أبلغ من العمر خمس سنوات... (ساخرًا) ربما تبناني والديَّ في هذا العمر ولم يجرؤا على إخباري بالحقيقة. لقد رأيت هذه في فيلم تليفزيوني. في هذه الحالة، لن تكونوا أخوتي الأشقاء.

لحظة.

جيف: أتذكر أن هناك مصورًا فوتوغرافيًا قد جاء إلى المدرسة.

بيير: وقاموا بتجميعنا لالتقاط الصورة. هل تتذكر، لم تكن الفصول في هذا الوقت مختلطة. حتى في الفسحة، كان الفناء مقسومًا ناحيتين بجدار وهمي. الأولاد في جانب بزيهم الأزرق، والفتيات في الجانب الأخر بزيهم الوردي. مع التحذير الشديد من اختراق الجدار العازل. باستثناء الذهاب إلى المرحاض الذي

كان يقع بجانب الفتيات. كنتُ مغرمًا بفتاة، ولم أكن أراها إلا بذهابي إلى المرحاض. كان عليَّ أن أذهب كثيرًا للمرحاض كي أراها. ولكني لم أكلمها قط. أتسأل كيف أصبحت الآن. لم أكن أعرف حتى اسمها...

لحظة.

جيف: منذ متى لم تر جوزيان وفريدريك؟

يضع بيير الصورة.

بيير: منذ دفن والداتنا... شيئًا سخيفًا أن أقول هذا. حتى الآن لم استوعب أنها ماتت. ليس هذا فقط ما يُحزن، أليس كذلك؟ ولكن السخيف أن تشعر بـ... باليُتم.

جيف: والدانا لم يمت بعد...

بيير: لا نعرف عنه شيئًا... لم نره منذ سنوات. ولم يأت حتى لدفن زوجته. هل تعتقد أن أكلة لحوم البشر قد التهمته، على الأقل كانت سترسل لنا دعوة...

جيف: أما زال في غابات الأمازون أكلة لحوم بشر؟

بيير: هناك أسماك الضاري المفترسة، مجموعة من سمك الضاري ممكن أن تلتهم بقرة في خمس دقائق، ولا يبقى منها سوى العظام. ما بالك بأبي... هل تتخيل... أوه، على أي حال هو لم يكن حضوره يفرق كثيرًا، أليس كذلك؟ فيما بيننا، موته لن يُحدث فارقًا كبيرًا. موته مجرد إجراء شكلي، أتعرف، يشبه هذا تمامًا أولئك الذين يعقدون قرانهم بعد ثلاثين عامًا من العيش معًا، "لتوثيق العلاقة بشكل رسمي"، بالنسبة لأبي عند موته سيكون هذا الإعلان الرسمي عن اختفائه من حياتنا.

لحظة.

بيير: لدي صديق قامت بالبحث عن أبيه لمدة خمسة عشر عامًا من أجل استعادة العلاقة والحوار معه... خمسة عشر عامًا... هل تتخيل هذا؟

جيف: وهل نجح في ذلك؟

بيير: آه... لسوء الحظ بنهاية الخمسة عشر عامًا، مات والده.

جيف: أوه، يجب ألا نبالغ في أي شيء...الآباء ليسوا قديسين، هم على الأقل آباء...

بيير: نعم. نعم، هناك دائما من هو أسوء حالًا منا، هذا مؤكد. ولكن من العجيب أن هذه الفلسفة لم تواسيني قط. الأمر يشبه تمامًا عندما يفقد شخصًا ساقه فتقول له " لا تشتكي، كان من الممكن أن تفقد الاثنين".

لحظة.

بيير: هل تعلم بماذا أخبرني عمي ألبيرتو منذ عدة سنوات؟

جيف: بماذا أخبرك؟

بيير: أنه هو من اختار اسمي، عندما وضعتني والداتي، كان أبي مشغولًا كالعادة، فذهب عمي ألبيرتو إلى المحافظة لإثبات مولدي. يبدو أنهم منحوه تفويضًا باختيار الاسم. فلم يكن اختيار اسم المولود ذا قيمة.

جيف: كانت الحياة وقتها مختلفة...

بيير: ولكن في هذه الفترة كان هناك من الآباء من يهتم بالذهاب لإثبات قيد مولوده واختيار الاسم.

جيف: الأسماء عادة ما تُشكل مشكلة في كل أسرة. ماذا أقول أنا في حالتي، لمدة عشر سنوات ظل الجميع معتقدًا أن اسمي كريستوف. إلى أن جاء يوم وذهبت أمي لاستخراج شهادة ميلاد واكتشفت أن أبي أسماني باسمي الحالي.

بيير: على الأقل اختار لك الاسم. نعم، اختار لك الاسم.

جيف: لا أعتقد أنني حظيت بشيءٍ مختلف. فقد أسماني يسوع، وليس من الشائع أن تحمل اسمًا كهذا.

بيير: هذا الاسم شائع جدًا في إسبانيا.

جيف: في فرنسا قلما تجد اسم يسوع! الغريب أنه لم يذهب بنا للتعميد في الكنيسة.

بيير: ليست مشكلة، هناك الكثير من اليهود من يحمل اسم يهوذا.

جيف: حقًا؟

بيير: ومن الألمان من يحمل اسم أدولف، إذا أردت...

جيف: على أي حال، فقد اعتاد الجميع على ندائي بـ "جيف". لا أدرى لماذا... أعتقد الجميع أن هذا من أجل جان فرانسوا.

يبتعد جيف متواجهًا ناحية الصالة. يشاهده بيير وهو مندهش ثم يعاود قراءة جريدة الحياة الاقتصادية. يرن هاتفه المحمول.

بيير: من؟ (يبتسم) نعم...نعم، بخير... لا، لم يكن هناك الكثير من الناس في الطريق، لا، يصلن هذا الصباح... (يتوقف عن الكلام) حسنًا، هل حصلتِ على تقرير المعمل...؟ (محبطًا) ...هذا المساء؟ لا، لا، أفضل أن أتصل أنا بكِ، أنا لستُ قلقًا، كل ما في الأمر أنني غير معتاد على عمل التحاليل...

تصل جوزيان وهي تسحب حقيبة سفر بعجلات وترتدي معطف مكسيكي باهظ الثمن.

بيير (بحرج): أعتذر علىَّ أن أنهي المكالمة الآن. جوزيان قادمة، نعم، نعم، سوف أخبرهم... في الوقت المناسب...وأنا أيضًا أُقَبِلُكِ.

يغلق سماعة الهاتف.

جوزيان (بصوت مرتفع): متى وصلتما؟

ينهض بيير ويقبلها ببرود.

بيير: بالأمس... مساءً. في ساعة متأخرة.

تضع جوزيان حقيبتها وتلقي نظرة على الغرفة.

جوزيان: آه، هذا المنزل!

ينتظر بيير تعليقًا منها، وهو ما لم يحدث.

جوزيان: لا أفهم لماذا لم يُشَّغِل والدانا المدفئة من قبل...

بيير: ربما لأننا كنا نأتي في شهر أغسطس...

جوزيان: أخوك هنا؟

بيير: هو أيضًا أخاكِ، لا ليس هنا، هو في غرفته...

جوزيان: صحيح هو غير معتاد على الاستيقاظ مبكرًا...

بيير: ولماذا تريدينه أن يستيقظ مبكرًا؟ لن نوقع الاتفاق إلا بعد الظهر.

جوزيان: حسنًا، بماذا ستفعل بهذه الأموال؟

بيير: لا أعرف...

تلاحظ جوزيان جريدة الحياة الاقتصادية على الطاولة.

جوزيان: أتقرأ جريدة الحياة الاقتصادية الآن؟

بيير: أقوم ببعض المضاربات في البورصة...عبر الانترنت.

جوزيان (منبهرة): البورصة... أليست مجازفة؟

بيير: الأمر يشبه العلاقات بين الزوجين، إذا لم يكن لديك رغبة في تحمل مسئولية طفل على عاتقك، عليكِ أن تنسحبي في الوقت المناسب.

جوزيان: وهل هناك مكاسب مجزية؟

بيير: ليست سيئة.

جوزيان: عليك إذًا أن تعطيني نصائح اقتصادية لأستثمر ميراثي.

بيير(ساخرًا): الأمر ليس معقدًا للغاية، يحتاج فقط لقليل من الفِطنة، في الشتاء مثلًا تشتري أسهم ماركات الملابس، وقبل عيد الأم عليكِ ببيعها وشراء أسهم شركة مولينكس.

جوزيان: شركة مولينكس، ألم تعلن إفلاسها؟

بيير: أفلست بسبب الحركات النسائية، لم يعد الأبناء الآن يجرؤن على شراء جهاز تقطيع الخضار أو مكواة بمناسبة عيد الأم.

جوزيان (بنبرة ثقة): بالمناسبة، هل أنت على علم بأخر الأخبار؟

بيير: أي أخبار؟

جوزيان: أخبار يسوع! سيعلن إفلاسه...

بيير (بغضب): ألا يمكنك مناداته بـ "جيف" مثل الجميع؟ هل هو من قال لكِ ذلك؟

جوزيان: زوجته. مسكين... لا أدري ما سيفعل الآن؟

بيير: كل ما عليكِ هو أن تسألي...

جوزيان: تقصد أسال كاترين زوجته؟

بيير: لا تسأليه هو! تسألي جيف!

جوزيان: لم يُخلق جيف ليكون صاحب مشروع، هذا شيء واضح!

بيير: حقًا؟ وكيف أتضح لكِ ذلك؟

جوزيان: ألا ترى متى يستيقظ! بالنسبة لي، على أي حال لم يغمض لي جفن طوال الليل. كان القطار مزدحمًا! بالطبع كان هناك أسرة من البرتغال ومعهم

أطفال. ومنهم من هو مصاب بالنُكاف[1] ولم يكف الأب عن الصياح طوال الليل. أمَّا باقي الأسرة، فقد قضوا الليل في التهام البطيخ والسجق حتى الصباح...

لم يعتاد بيير على سماع أوهام أخته التي تكره الأجانب، حاول كظم غيظه واختار أن يجاريها ساخرًا.

بيير: ألم يقدموا لكِ شيئًا لتأكليه؟

جوزيان: بلى، ولكني لم أكن أرغب! كانت الرائحة تملأ العربة، وكنت أشعر باشمئزاز...

بيير: أذكرك أننا من أصل إسباني وأن اسمك قبل الزواج هو فرناندیز...

جوزيان: أوه، اسمي قبل الزواج، كما تعلم، لم أعد تلك الفتاة التي كنت عليها قبل الزواج! حسنًا، سأذهب لأنتعش قليلًا، ما زلتُ أشم رائحة السجق.

تخرج جوزيان. يغلق بيير الجريدة ويخرج بدوره ومعه الغلاية في اتجاه المطبخ. يدخل جيف مرتديًا ملابسه. يرتدي زيًا رسميًا، ولكن بدون أناقة، تشبه ملابسه ملابس المدير الذي اجتهد في ارتداء أفضل ما لديه لحضور موعد مهم. بعد لحظة، تعود جوزيان ملفوفة في ستره كبيرة، ممسكة تحت ذراعها مجلة الصياد الفرنسي[2]. جيف وجوزيان يتعانقان بلا حرارة.

جيف (يلاحظ المجلة ويندهش): هل تشاركي في الصيد؟

ترد جوزيان بلا أي حرج، وبإجابة جاهزة.

جوزيان: الأفضل أن تقول المطاردة بدلا من الصيد... أتصفح فقط الإعلانات المبوبة...

جيف: إعلانات مبوبة...؟

جوزيان: إعلانات زواج!

يشعر جيف بالاندهاش والضيق في نفس الوقت.

جيف: وما النتيجة؟

---

[1] هو مرض معدٍ يحدث بسبب فيروس النكاف. ينتقل النكاف عن طريق إفرازات الجهاز التنفسي. أشيع عرض للنكاف هو انتفاخ الغدد النكافية (اللعابية) التي تقع خلف الأذنين. (المترجم)

[2] Le Chasseur français هي مجلة شهرية عن الصيد والطبيعة تصدر في فرنسا. تم إطلاقها في عام 1885 وهي واحدة من أوائل المجلات في هذه الفئة. (المترجم)

جوزيان: كما تعلم، الأمر يشبه كما لو كنت تختار سيارة.

جيف: آه؟

جوزيان: أحاول أن أجد تشبيهًا مناسبًا...

جيف: وهل وجدتِ الطراز المناسب؟

جوزيان: ليس بعد، للأسف، بالنسبة لسِنِي، عليَّ أن أبحث في سوق المستعمل، وأنت؟

جيف: أنا، ماذا؟

جوزيان: كيف حال زوجتك؟

جيف: على ما يرام.

جوزيان: والأطفال؟

جيف *(ببرود)*: يمكنك أن تقولي وأطفالك. إنهم يحملون اسمي الآن...

جوزيان: أوه، أليس هو نفس المعنى؟ أطفالك أيضًا، إنها فرصة لـ...

يصمت جيف ويتراجع بشكل واضح حتى لا ينفجر.

جوزيان: وكيف حال عملك؟

جيف: على ما يرام...

جوزيان *(ضاحكة)*: معك كل شيء يصبح على ما يرام، أليس كذلك؟

جيف (غاضبًا بعض الشيء): أنا لم أقل إن الأمور رائعة، أقول إن الأمور على ما يرام...

جوزيان: وبيير؟

جيف: ماذا به؟

جوزيان: أسأل عن عمله! لقد شاهدتُ إحدى مسلسلاته في التلفاز منذ أيام. ابني من لفت انتباهي له. يا له من هراء!

جيف: إنه مسلسل لفئة الشباب... على أي حال دخله جيد.

جوزيان: هذا هو أهم شيء. كان علىَّ أن أفعل مثل ذلك، بدلًا من حصولي على مؤهل جعلني أمضي خمسين عامًا من عمري في ترتيب الأسماء بشكل أبجدي.

تنغمس جوزيان من جديد في قراءة الإعلانات المبوبة. بعد لحظة يعود بيير ومعه الماء الساخن. يتناول كل فرد منهم قهوته.

جوزيان (ترتسم على شفتاه ابتسامه): أوه، هذا النسكافية، سمعته سيئة!
ينظر إليها بيير وجيف بنظرة تأنيب، فلم يكونا بحاجة لمثل هذا التشجيع كي يبتلعا المشروب، ولكن جوزيان تواصل كلامها.
جوزيان: لحسن الحظ، العلبة شبه فارغة. لا بد أنها هنا منذ سنوات. علبة حجم عائلي بهذا الشكل (تبدو كما لو كانت تقوم بعملية حسابية) ملعقة واحد لكل كوب خلال شهر واحد في العام ...
يترك بيير كوبه بشكل نهائي. ينفتح الباب وتدخل فريدريك. ترتدي شال ثقيل ماركة هيرميس ومجوهرات ذهبية وحقيبة ماركة فيتون. مظهر أنيق للغاية.
فريدريك: صباح الخير.
بيير: (دون أن ينهض): أهلا.
ينهض جيف وجوزيان ليعانقانا أختهما.
جيف: هل كانت رحلتك جيدة؟
بيير: الرحلة بالطائرة حوالي ساعة، ليس رحلة مرهقة على الإطلاق...
فريدريك: لطيف كالعادة...
جوزيان (ممسكة علبة النسكافية في يدها): هل ترغبين في قهوة؟
فريدريك: شكرًا، تناولت الإفطار على متن الطائرة.
جوزيان: أحسنتِ صنعًا.
جيف: متبقي لكِ غرفة، تحتاج فقط تغيير مفارش السرير.
فريدريك: ليست مشكلة، سأعود الليلة...
جوزيان: حقًا؟ يالا سوء الحظ. تقطعين كل هذه الكيلومترات من أجل البقاء بضع ساعات...
بيير: أوه، حوالي مائتي ألف لكل واحد...
ينظر إليه الأخرون باندهاش.
بيير: لقد أتت فريدريك إلى هنا مثلنا جميعًا، من أجل بيع البيت، أليس كذلك؟ فهي لم تقطع مائتي ألف ميل من أجل الاستمتاع بعطلة مع العائلة أمام شاطئ البحر في شهر ديسمبر...
فريدريك: ألم تأت لنفس السبب؟

بيير: بلى، هذا ما قلته للتو، الجميع أتى لنفس السبب.

جوزيان: مائتي ألف فرانك لكل واحد... (تنظر إلى جيف متشككة) هل أنت متأكد من بيع البيت بهذه التكلفة الباهظة، هل يساوي هذا البيت كل هذا؟

جيف: منذ عام والبيت معروض للبيع، لم يتزاحم عليه المشترون، إلى أن أتصل بي هذا الطبيب منذ ثلاثة أشهر...

جوزيان (بنبرة عتاب): ربما كان يجب عمل المزيد من الدعاية، لا أعرف، عمل بعض الإعلانات مثلا...

جيف: لم يمنع أحد من عمل هذا. فلتقومي بعمل إعلان في مجلة الصياد الفرنسي مثلا...

جوزيان: نعم، لما لا، ولكن أنت المسؤول عن البيع!

جيف: ومن الذي قرر هذا؟ من الذي قرر أني أنا المسؤول عن البيع؟ ذاك ما كان ينقصني لأفعله، أنا أيضًا لم أكن متواجدًا هنا لعمل الإعلانات.

جوزيان (لم تعد تسمعه): آه، هذا المنزل! أخيرًا، سنتخلص منه هذا المساء...

تعود جوزيان لشرب قهوتها.

جوزيان: باردة وسيئة! (تنظر إلى الأخرين) هل تريدون المزيد؟

يتبادل جيف وبيير نظرة أسف.

جيف: سأذهب لأري إذا كان هناك جرائد لشرائها.

بيير: سأرافقك، ولنحاول الحصول على قهوة جيدة.

جوزيان: أحضروا لي جريدة المراقب الجديد[1]. ستصدر اليوم.

ينظر بيير إلى أخته نظرة اندهاش.

بيير: هل تقرأين جريدة المراقب الجديد؟

جوزيان (بنبرة تَفَهُم): من أجل الإعلانات...

ينظر إليه بيير دون فهم، ولكنه لم يعلق.

جيف (متحدثًا إلى فريدريك): هل ترغبين أن نحضر لكِ شيئًا؟

---

[1] " Le Nouvel Observateur " هي مجلة إخبارية فرنسية تأسست عام 1964. وتغطي المجلة مجموعة واسعة من الموضوعات، بما في ذلك السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والمجتمع. وكانت في البداية مجلة تميل إلى اليسار، وكانت سنواتها الأولى مليئة بالصحافة التحقيقية والموقف النقدي تجاه الحكومة في ذلك الوقت. (المترجم)

فريدريك: لقد أحضرت معي مجلة مدام فيجارو[1] من الطائرة.

بيير: وإذا كان على متن الطائرة جريدة الإنسانية[2]، هل كنتِ ستأخذينها؟

يخرج بيير وجيف.

فريدريك: لن تتحسن العلاقة معه.

جوزيان: مع جيف؟

فريدريك: لا مع بيير!

جوزيان: أوه، تَقَبَّلِيه كما هو. لم يتغير مثل الجميع. ألا تتذكري؟ عندما كنا صغار، لقد تعلم الحياكة. لقد صنع لي وشاحًا ونحن صغار...

يبدو واضحًا أن فريدريك لا تذكر شيئًا.

جوزيان: لم نراه مع امرأة من قبل؟ أليس هذا غريبًا؟

فريدريك: ربما ليس لديه رغبة لتقديمها لنا.

تبدو فريدريك غير مهتمة، فتغير جوزيان الموضوع.

جوزيان: وكيف حال أطفالك؟

فريدريك: بخير، شارلوت تحب مدرستها، آمل أن يُفلح الأمر هذه المرة لأن المدرسة ليست رخيصة.

جوزيان: حقًا؟

فريدريك: تعلمين الآن، إذا لم يكن الشخص مستعدًا لدفع...

جوزيان: لدفع كم؟

فريدريك: 5000.

جوزيان: في العام؟

فريدريك: في الشهر...

---

[1] " Madame Figaro " هي مجلة فرنسية شهيرة تأسست عام 1980 كنسخة نسائية من صحيفة "Le Figaro". وتغطي المجلة مجموعة واسعة من الموضوعات التي تهم النساء، بما في ذلك الموضة والجمال، والصحة، والثقافة، والأدب. (المترجم)

[2] "L'Humanité" هي صحيفة يومية فرنسية تأسست عام 1904. وتعتبر المجلة الرسمية للحزب الشيوعي الفرنسي وتغطي الموضوعات التي تهم اليسار الفرنسي، بما في ذلك السياسة، والاقتصاد، والثقافة، والمجتمع. (المترجم)

جوزيان: 5000 فرانك في الشهر! يعادل هذا ما احصل عليه في عملي كمُدَرِسة في المدرسة الثانوية!

فريدريك: أعلم، تكلفة كبيرة، ولكن ماذا في وسعي أن أفعل؟ لكي أحصل على تعليم جيد عليَّ أن أدفع المقابل...

جوزيان: وهل التعليم الجامعي مجاني؟

فريدريك: للالتحاق بالكلية، لا بد من الحصول عل الثانوية العامة، لكن الثانوية العامة ليست هدف شارلوت. استوعبنا هذا بعد ثلاثة أعوام. هي تفضل الأعمال المهنية. وفي الواقع أن تذهب إلى الجامعة مع كل هذه الأعداد التي تلتحق بالجامعة ليست غايتها. الآن يلتحق الجميع بالكليات، لم يعد هناك اختيارات!

لحظة.

جوزيان: وماكسيميليان؟

فريدريك: في تدريب لمدة ثلاثة أشهر، تابع لمدرسة إدارة الأعمال.

جوزيان: حقًا؟ أين؟

فريدريك: لدي ماك دونالد (لحظة) في ميامي[1].

جوزيان: في ميامي!

فريدريك: نعم، لقد اختار القسم الدولي.

جوزيان: لا بد أن هذا كلفكما الكثير!

فريدريك: يُمكنك قول هذا! خاصة وأن التدريب غير مدفوع الأجر. التكلفة بالتذكرة والإقامة حوالي 60000. لكن في النهاية، المدرسة تتكلف بكل شيء. لديها شبكة توظيف فعالة. الآن لكي يحصل الشخص على تدريب... دون علاقات...

جوزيان: وماذا يتعلم هناك؟ هل يقوم بالتسويق؟

فريدريك: لا، يعمل في المبيعات.

جوزيان: في المبيعات...؟

---

[1] ميامي هي مدينة تقع في جنوب شرق ولاية فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية. وهي تعتبر واحدة من أكثر المدن اكتظاظاً بالسكان في الولايات المتحدة. (المترجم)

فريدريك: نعم، يقوم بخدمة الزبائن. الفلسفة الأمريكية في مجال الأعمال، هو أن تبدأ من البداية، في أصغر الأعمال لكي تفهم كيف تسير الأمور.

جوزيان (مندهشة): تريدين قول أنكِ دفعتي 60000 فرانك لكي يقوم ابنك ببيع الهمبرجر في ماك دونالد لمدة ثلاثة شهور؟

فريدريك: في فلوريدا! تعريفين أن السكن باهظ التكلفة هناك، ولا يقبلون أي شخص بسهولة، كما انه سيتمكن من إتقان الإنجليزية وهذه هي نقطة ضعفه...

صمت.

فريدريك: وأين برانو الآن؟

جوزيان: في القسم التحضيري. تبدو الأمور جيدة معه. حصل على درجات جيدة جدا في الفلسفة...

فريدريك: الفلسفة، في هذه الأيام، لا تقود إلى أي مكان، أليس كذلك؟ ماذا ينوي بعد ذلك؟

جوزيان: سيحاول الالتحاق بالمدرسة العادية العليا... أعتقد، على الأقل... أنها مجانية! أعتقد أنهم يتقاضون رواتب من أجل الدراسة هناك...(لحظة). أثناء هذا الصيف، أخذوه كأمين مخزن في أوشن. أعلم أنه ليس بالشيء الجيد، ولكن هذا سيوفر له بعض النقود في جيبه. على الأقل فهو يعرف الآن ما ينتظره إذا لم يحصل على الشهادة...

وقت

جوزيان: لقد تعرف على صديقة، أنا سعيدة أنه تخطى الفترة السابقة، لم يكن الأمر سهًلا عليه، بعد طلاقي من والده...

فريدريك: أحيانًا، يكون الطلاق الجيد أفضل من الاستمرار في زواج سيء...

جوزيان: بالرغم من ذلك، عندما يكون الأولاد صغارًا، فإن هذا القرار يوثر عليهم. الطفل يحتاج إلى وجود أبيه وأمه معًا.

فريدريك: ولكنكِ لم تكف عن الشجار مع جيرار! لقد زرتك ثلاث مرات خلال عشر سنوات، وفي كل مرة أذهب فيها لزيارتك كنت أشاهد خناقة أسرية. ولا أعتقد أن هذا كان من باب الاحتفاء بي، لذا لم يجعلني هذا أفكر في إنهاء الزيارة...

وقت.

فريدريك: ما زلت لا فهم كيف لرجل مثل جيرار يعمل في مجال الطب النفسي يرتكب كل هذه الأخطاء في تربية ابنه. لن تكونا على اتفاق في أي شيء، خاصة فيما يتعلق بتربيته، كنتما تتناقشان في ذلك أمامه...

جوزيان: (تمزح لتُهَوِنَ من الأمر): تعرفين المثل القائل "الاسكافي دائما ما يرتدي أسوأ حذاء". بالمناسبة، فيما يتعلق بتربية الأطفال فقد قال فرويد: " أفعلوا ما تريدون، فكل ما تفعلونه سيكون سيئًا".

فريدريك: مهما كان. دائما ما نشعر أننا مسؤولون عن كل شيء...

تتفحص فريدريك الغرفة.

فريدريك: من المحزن أننا سنبيع هذا المنزل. رغم كل شيء، لدينا به ذكريات...شيء غريب. طوال العام كنا نتكدس في ثلاث غرف بلا حمام مع أب وأم عابسين، وفي شهر واحد من العام، كنا نعيش هنا في منزل مريح، مع أب وأم تقريبًا عاديين...

وقت.

جوزيان: ميامي بيلي... اسم غريب لمنزل لا يقع على البحر...

وقت.

فريدريك: ربما كان هذا الاسم يذكر والدانا بإسبانيا... لماذا لم يفكر في العودة إلى إسبانيا مطلقًا؟

جوزيان: علينا أن نسأله... إذا رأيناه يوما ما...في البداية، كنت أعتقد أن الأمر يتعلق بالأوراق. كان يخشى ألا يُسمح له بالعودة إلى فرنسا. وبعد ذلك، فكرت أنه ربما بسبب المسافة...

فريدريك: نعم... ربما لهذا السبب فضل العيش في ماناوس[1] ...كنت أُفضل أن اشتري هذا البيت، ولكن جيروم لم يقتنع بالفكرة. على أي حال ليس هذا هو الوقت المناسب...

---

[1] ماناوس هي مدينة في ولاية أمازوناس في شمال غرب البرازيل. تقع المدينة على ضفاف نهر الأمازون وتعد إحدى المدن الرئيسية في المنطقة. تشتهر ماناوس بغاباتها المطيرة الكثيفة وحيواناتها البرية وتعد بوابة الدخول إلى غابة الأمازون. كما تشتهر المدينة بمركزها التجاري والصناعي وبمينائها الذي يُعد أحد أكبر موانئ الأمازون. (المترجم)

جوزيان: أه، خاصة مع هذا السِعْر، بالتأكيد لن يكون استثمار جيد بالنسبة لكِ...

صمت.

فريدريك: لا أفهم لماذا يحقد عليَّ بيير هكذا؟ لم أفعل له شيئًا، ومع ذلك، هذا يُحزنني. كنا على وفاق من قبل، أليس كذلك؟

جوزيان: قبل ماذا؟

فريدريك (مرتبكة): لا أدري... من قبل.

جوزيان التي لم تعد تسمع فريدريك تلقي نظرة على الغرفة.

جوزيان: علينا أن نقوم بتنظيف البيت قبل المغادرة. أنظري كيف يبدو التراب!

ظلام

الساعة الثانية عشر ظهرًا

يدخل الأشقاء الأربعة من الخارج ويخلعوا معاطفهم.

جوزيان (إلى جيف): حسنًا، شكرًا على الغداء يا جيف... كيف عرفت هذا المطعم؟

فريدريك: المكان لم يكن سيئًا...

جوزيان: نعم، أليس كذلك؟ صاحب المطعم يبدو ماهرًا! أكلنا جيدًا. وبالنسبة للسعر...

جيف: أعلم أن المطعم دون المستوى، ولكن في هذه المنطقة لن نجد شيئًا جيدًا.

جوزيان: من الطبيعي ألا يكون السمك طازجًا... ولكن الغريب استخدام أسماك مجمدة في مكان يبعد عن البحر عدة كيلومترات.

بيير (بانزعاج): أنتِ من سيدعونا المرة القادمة، اتفقنا؟ وأنتِ من تختاري المطعم.

جوزيان: آمل ألا نمرض على الأقل، الأطعمة المجمدة غير مضمونة، أحيانًا يكون هناك فترات انقطاع في نظام التبريد.

يتبادل بيير وجيف نظرة أسف.

جوزيان: سأرى إذا ما كان لدي مضادًا للحموضة. لا أشعر أني بخير...

بيير: حسنًا، فلتذهبي.

فريدريك: أعتقد أنا لديَّ واحدًا.

تغادر جوزيان وفريدريك المكان في اتجاه الغرف.

بيير: لن تتغير طباعها... يبدو أن البِكْرِي في كل أسرة عادة ما يكون هكذا...

جيف: هي دائما هكذا. لن تتغير في هذا العُمْر.

بيير (يفكر): كم عمرها؟

جيف لا يرد.

بيير: حسنًا، ماذا سنفعل هذا المساء؟ (مازحًا) هل سنذهب إلى ملهى ليلي؟

جيف: أنا رجل متزوج. أذهب أنت إذا كنت تريد.

بيير: في هذا الموسم، أعتقد جميع الملاهي الليلة مغلقة. هل تتذكر لقد كنا نمضي كل ليالي الصيف في الملاهي الليلية. كان الجميع يأتي إلى هنا من أجل

المرح والاستمتاع، هذا منطقي، ومع ذلك لم تكن لي أي علاقات نسائية في أي مكان...مطلقًا...

وقت.

بيير: أعتقد أن الفتيات لا ترى أي رومانسية في مسايرة شخص غريب لا تعرفه. الشاب الذي يغازل الفتيات في ملهى ليلي لا يمثل لهن الرجل المناسب أو فارس الأحلام، لأن هذا لا يوحي بالثقة. بالمناسبة، أنا لا أعرف أي زوجين تعارفا في ملهى ليلي، وأنت، هل تعرف؟

جيف: نعم... تعرفت إلى زوجتي في ملهى ليلي.

بيير(متفاجئًا): حسنًا، سأذهب لأخذ القيلولة...

جيف: دئمًا ما تعمم الأحكام، هذه هي مشكلتك. حياتك ليست مقياسًا لشيء، المقياس هو حياة الأخرين.

بيير (مندهشًا): هل تدرك مدى فظاعة ما قُلته للتو؟

جيف (بضيق): لا، لا أعرف. في الواقع. عندما أُعبر عما بداخلي يكون بالصدفة، وليس عن عمد. من حسن الحظ أنك موجود لتحلل المعنى.

بيير: أستأذن...

جيف: هذه هي مشكلتك الثانية. تعودت أن تتعامل مع الأخرين على أنهم حمقى.

ينهض جيف ليتناول مجلة، وبيير يفعل الشيء نفسه. تعود جوزيان وفريدريك ومعهما مجلتان.

جيف (إلى جوزيان): هل تشعرين أنك أفضل؟

جوزيان: لقد تقيأت كل شيء.

بيير(باستياء): تشعرين بتحسن إذًا...

جوزيان: تحسن ضئيل، ما زلتُ أشعر أن كل قطعة من قطع التُونَة تُمزق معدتي...

فريدريك: ربما تكون حساسية. الحساسية من التُونَة شائعة جدًا.

بيير: ربما يكون الأمر كذلك.

يقرأ جيف جريدة لوبوان[1] وبيير جريدة الحياة الاقتصادية وفريدريك جريدة مدام فيجارو بينما تقرأ جوزيان جريدة الصياد الفرنسي قبل أن تتناول جريدة المراقب الجديد. يرفع بيير رأسه ويلاحظ مندهشًا ما تقرأه جوزيان.

بيير: هل تبحثين عن زوج؟

جوزيان (ضاحكة): نعم، كما تعلم ليس من السهل العثور عليه في هذا العُمْر...

بيير (ساخرً): على أي حال بين جريدة "الصياد الفرنسي" وجريدة "المراقب الجديد" مساحة جيدة للبحث...أعقد أنه يمكنك إنشاء موقع لتغطية الكوكب بأكمله.

ترفع جوزيان عينيها عن الجريدة وتستمع جوزيان إليه بإنصات.

جوزيان: هل تعتقد هذا...

بيير لا يُصَدِق أن أخته تأخذ هذا الكلام على مَحْمَل الجد.

بيير: نعم، تضعين صورتك الشخصية وبجوارها رسالة جذابة. يمكنك أيضًا إجراء تعديلات على الصورة، هناك برامج تقنية تفعل هذا بشكلٍ مذهل.

جوزيان: ربما تكون محقًا في هذا. يجب علىَّ اقتحام عالم التكنولوجيا. لكني لست متأكدة إن كنت سأتمكن من التعلم... هل انت على علم بعالم التكنولوجيا؟

قبل أن يجيب بيير، يرن الهاتف المحمول لجوزيان.

جوزيان (بتكلف): لا بد أنه لي...لقد اشتريت وأحدًا لي في أعياد الميلاد(تضحك) عليك أن تجاري المتغيرات الزمنية...

تواصل المكالمة ببعض الحرج، من الواضح أنها غير معتادة على هذا النوع من الهواتف.

جوزيان (تضغط على المفاتيح بعنف وهي منزعجة): تبًا، كيف يعمل هذا الهاتف...

---

[1] (Le Point) هي مجلة أسبوعية فرنسية تغطي الأخبار العامة والسياسية والثقافية والاقتصادية والرياضية، والعلمية، والتقنية، والفنون. تأسست المجلة في عام 1972 وتصدرها شركة "Le Point Communication"، ويقع مقر المجلة في باريس. يتميز محتوى المجلة بالتحليل العميق للأحداث والقضايا الجارية في فرنسا والعالم، كما تتضمن المجلة أيضًا مقابلات حصرية مع شخصيات معروفة ومقالات آراء وتقارير مصورة. تصدر المجلة باللغة الفرنسية وتعد واحدة من المجلات الأسبوعية الأكثر مبيعًا في فرنسا. (المترجم)

ينظر لها بيير باندهاش.

جوزيان (بلطفٍ متكلف تتحدث بصوتٍ عال): مرحبًا نعم ... نعم، أنا ... نعم، مرحبًا ... نعم ... نعم، في الخمسينيات من عمري ...

تدريك أن الجميع يسمعونها دون قصد.

جوزيان: حسنًا، أنا أقترب من عامي الخمسين... نعم، صادفت إعلانك بالصدفة في جريدة "الصياد الفرنسي" و ... آه، لا، أنا لا أبحث عن قصد. صادفت العنوان وأنا أتصفح الجريدة لدى مُصَفِفَة الشعر. أنا مُطَلَقة... هذا كل شيء... وأنت ...؟ (تتسمر في مكانها) آه... وماتت من ماذا ...؟ (تضحك) إذا لم يكن ذلك فضوليًا بالطبع ... يا ...، لا ... لقد عانت بالتأكيد ... نعم في هذه الحالات، القتل الرحيم أفضل ...

ينظر إليها الأخرون في حالة ذهول.

جوزيان: نعم، بالطبع ترك هذا فارغًا في ... لا، ليس لدي أي حيوانات ... فقط ابن ... (تضحك) ولكنه أيضًا فوضوي، كما تعلم ...! هل تحب الأطفال...؟ لا، أعتقد أنه فات الأوان على هذا، أه ...؟ في الوقت الحالي هذا، لكن لن يكون بشكلٍ طبيعي ...

تتحرك جوزيان تجاه الغرف لتكون بمفردها. لم يعد الأخرون يسمعونا حديثها.

بيير: عجوزٌ متصابية، هل تدركون ما تفعل؟

فريدريك (متحفزة): هذا هو منطق الرجال. الرجال لا يتورعون عن ترك زوجاتهن في الخمسين من عمرهم لإعادة إعمار الكوكب مع فتيات صغيرات.

بيير (نصف جاد وبهدف الاستفزاز): بالنسبة للرجال، الأمر مختلف تمامًا ...

فريدريك (بعنف): أه، نعم. وبناءً على ماذا؟ أذكرك أن المرأة تعيش أكثر من الرجل. بالتالي يُمكنها إنجاب المزيد من الأطفال في سنٍ متأخرٍ.

بيير: الفرق هو أن الرجل في الخمسين من عمره يستطيع إنجاب أطفال من فتيات صغار. جوزيان من كبار السن الآن، أليس كذلك؟

فريدريك: وماذا تعرف أيضًا؟

يحاول جيف عبثًا أن يقنع بيير أنه من الأفضل تغيير الموضوع.

بيير: لا أعقد أن هناك شباب في سن العشرين ينشرون إعلانات زواج لهم في جريدة "الصياد الفرنسي".

يبدو أن فريدريك متأثرة جدًا بسبب هذه المناقشة، ليس بسبب المناقشة في حد ذاتها، ولكن لسببٍ يخصها هي شخصيًا.

فريدريك: أنتم جميعًا متشابهون!

تغادر فريدريك المكان.

بيير (متفاجئ): لم أكن أعرف أنها نَسَوِية! لماذا تأخذ الأمر هكذا؟ أنا غير مبالٍ بجوزيان وبما تفعله، حتى لو كانت تبحث عن شباب من صغار السن.

جيف: أعتقد أن المشكلة تتعلق أكثر بخيانة الرجال لزوجاتهم مع فتيات أصغر سنًا. كان الأفضل تجنب الموضوع ...

بيير مندهشًا يحاول أن يفهم. تعود جوزيان وفريدريك.

جوزيان: متى موعد توقيع العقد؟

جيف: مكتب العقارات أبلغني أنه في الساعة الثالثة بعد الظهر.

جوزيان (تفكر بعمق): مبلغ 800000 فرانك غير كبير... خاصةً بعد قسمته على أربعة.

بيير: لا تقلقي، ربما يموت أحدنا قبل الظهر.

جوزيان *(تمسك رأسها)*: يمكن أن يكون أنا هذا الشخص، أنا حقًا أشعر أنني لست بخير. *(تحاول الضحك)* يبدو أنكم لن تتأثروا بموتي.

تقف جوزيان أمام صورة الأطفال الأربعة الموضوعة على المدفأة.

جوزيان: ماذا سنفعل بهذه الصورة؟

ينظر إليها الأخرون دون فهم ما تقصد.

جوزيان: هل نتركها هنا بعد بيع المنزل. من سيأخذها؟

فريدريك: يمكن إزالتها من المكان...

جوزيان: ألا ترين أن هذه سلبية!

بيير(ساخرًا): يمكن تقسيمها على أربع، كل واحدٍ منا يأخذ صورته. (يتحدث إلى جوزيان) يُمكنك أخذ صورتك ووضعها على الموقع الذي سوف تُنْشِئنه، ستجذب الكثير من المنحرفين...

جوزيان (تنظر إلى الصورة دون أن تبالي بسخرية بيير): سيكون من المؤسف تقطيع صورة جميلة مثل هذه.

بيير: أنتِ محقة بالفعل، صورة مثل هذه، هي زينة جيدة فوق المدفئة.

جوزيان: نقوم بعمل قرعة، هيا، هناك علبة ثقاب.

نظر إليها الأخرون بدهشة، ولكن دون اعتراض. أمسكت جوزيان بعلبة الثقاب الموضوعة على حافة المدفأة بجوار الصور. التقطت أربعة أعواد، كسرت ثلاثة منهم، ثم استدارت تاركة الأربعة أعواد.

جوزيان (متحمسة): سيفوز الشخص صاحب عود الثقاب السليم.

يبدأ جيف دون حماس فيسحب عود ثقاب مكسور.

جوزيان: دورك يا فريدريك!

فريدريك متحمسة بدورها. تسير بين الأمل بالفوز وشعور آخر بالتناقض. يشاهد بيير المشهد متعجبًا. تسحب فريدريك هي الأخرى عود ثقاب مكسور. تشعر بخيبة أمل تملأ وجهها وسرعان ما تخفيها بابتسامة متكلفة.

جوزيان (متحمسة بشكلٍ أكثر مما سبق): بيير، الآن الأمر بيني وبينك.

ينهض بيير بلا مبالاة.

بيير: لا توجد مرجعية من هذا القبيل في الكتاب المقدس. هناك فقط بلطجية يلعبون الكفن المقدس بالنرد؟

فريدريك (ساخرة): لم أكن أعلم أنك تقرأ الكتاب المقدس...

بيير(بغلظة): إنها معلومات عامة...

يسحب بيير عود الثقاب السليم. تظهر خيبة أمل صبيانية على وجه جوزيان.

جوزيان: اللعنة! ليست محظوظة في اللعب.

يسحب بيير سيجارة ويشعلها بعود الثقاب. يأخذ نفخة بارتياح. تنظر إليه جوزيان بتعجب.

جوزيان: هل تدخن الآن؟

بيير: نعم، نعم... منذ عشرين عامًا، ألم تلحظي هذا؟

جوزيان: قرأت في إحدى المجلات قبل أيام أن كل سيجارة تُقَصِر عشر دقائق من العمر.

بعد لحظة، تسأل بيير.

جوزيان: كم سيجارة تدخن في اليوم؟

بيير: حسب ما تقولينه، كان من المفترض أن أكون ميتًا منذ ستة أشهر. لا أفهم لماذا لم يحدث هذا!

جوزيان: وأنتِ يا فريدريك، هل تدخنين؟

فريدريك: من وقتٍ لآخر. سجائر خفيفة.

بيير: حتى لو كانت تدخن سجائر محشوة بالحشيش، فهي سجائر خفيفة.

جوزيان: السجائر الخفيفة ضارة مثل السجائر الضارة، بل ربما أكثر تعلمون هذا أليس كذلك؟

بيير: لست أدري ما صحة أن نقارن العمر بزجاجة نبيذ أو سيجارة. لأي إنسان يولد له أَجَل. البعض يشرب قطرات من النبيذ بهدف الهضم، والبعض الآخر يشربون الزجاجة حتى نهاياتها.

جوزيان (ساخرة): هذا يشبه القصة الشهيرة للافوتان[1] الصرصور والنملة...

بيير: الأفكار العامة عادة ما نجدها في كل شيء... يُمكن للبعض أن يكون الصرصور والنملة في الوقت نفسه. أُذكر أنكِ في السبعينيات كنتِ ترتدين ملابس مثيرة، هل تتذكرين هذا؟ كان لديكِ صديقًا يعزف على الجيتار، لا أتذكر اسمه؟ أه، تذكرت، اسمه بول، كان مدرسًا بالمعهد. كنتِ أنتِ يسارية في ذلك الوقت. وكنت تدخنين الحشيش دون فلتر وقتها...

فريدريك: لا توجد سيجارة حشيش دون فبتر...

بيير: قلتُ هذا من أجل معرفة ما إذا كنتِ تتذكرين هذا أم لا ... كان بول يغني في فصل الصيف، وفي الشتاء التالي تزوجتِ من طبيب التخدير.

فريدريك: اسمه جيروم.

بيير: جيروم كاربنتيه، نعم كاربنتيه يا فريدريك، اسم له رنين موسيقي، فريدريك كاربنتيه أفضل من فريدريك فرنناديه...

---

[1] "La cigale et la fourmi" هي قصيدة شهيرة من تأليف جان دو لافونتان، الذي عاش في القرن السابع عشر في فرنسا. تدور القصيدة حول الفرق بين نمط الحياة الأناني والمترف للصرصور والحياة العملية والحذرة للنملة. (المترجم)

فريدريك: هل كنت تريد مني الاحتفاظ باسمي قبل الزواج؟ تقصد أنني أتبرأ من أصولي الإسبانية، إذا كان هذا ما تعنيه.

بيير: ربما. لذا كان عليكِ أن تُعلمي أطفالك أنهم أبناء عمومة مع الخادمة البرتغالية. ربما يعتقدون أن الخادمة من فصيلة أخرى.

فريدريك: أنت تهذي!

بيير (ضاحكًا): أنتِ تدركين جيدًا من أي شيء تهربين! لقد سمي والدك جيف بـ "يسوع". أعني أنه كان من الغباء أن تحتفظي باسم هو نفس ماركة سيارة زوجك.

تبدو جوزيان متعبة أكثر، ولكن لا أحد يلاحظ هذا وسط النقاش الحاد.

جوزيان: أه، أه... رأسي يدور بي...أشعر بدوار...

بيير: نعم! لقد تغيرتِ كثيرًا منذ السبعينيات، وأتذكر أنه في استفتاء ديغول عام 69[1]، تشاجرتِ مع أبي لأنه صوت بنعم. قلتِ إن هذا مجرد استفتاء عام، أعتقد أنكِ تعلمت هذه الكلمة في المدرسة الثانوية في الليلة السابقة. لكنها أذهلتني. أن تجرؤ على تسمية ديغول بالدكتاتور أمام أبي. أعجبتني جرأتك وقتها...

فريدريك: لا يمكننا أن نظل مراهقين طوال حياتنا. أنت أيضًا لست بمنأى عن هذا. في الماضي كنت تقرأ كل ما يتعلق بموسيقى الروك الشعبي، الآن أنت تقرأ جريدة "الحياة المالية".

بيير: لكني لم أصوت لحزب الجبهة الوطنية[2]...

فريدريك: أه! حسنًا! كان هذا مرة واحدة! وكان تصويت احتجاجي...

بيير: كان يمكنك الاحتجاج بالتصويت للرابطة الشيوعية الثورية. لماذا الجبهة الوطنية بالتحديد؟ بما أنكِ لست مقتنعة بأفكارها.

فريدريك: لست مضطرة للتبرير.

---

[1] استفتاء ديغول عام 1969 هو استفتاء شعبي عُقِدَ في فرنسا في 27 أبريل 1969، وكان يهدف إلى استطلاع رأي الناخبين حول الخطة التي قدمها الرئيس الفرنسي الحاكم آنذاك، شارل ديغول، لتعديل الدستور الفرنسي. وتضمنت الخطة إنشاء مجلس جديد للرئاسة يتم انتخابه من قبل البرلمان، وتوسيع صلاحيات الرئيس الفرنسي وتقليص صلاحيات البرلمان. وقد أثارت هذه الخطة جدلاً واسعًا في فرنسا، وتم تنظيم حملات حثيثة للترويج للموافقة على الخطة ومعارضتها. (المترجم)

[2] حزب الجبهة الوطنية حزب سياسي فرنسي يميني، أسسه جان ماري لوبان في سنة 1972، وبقي رئيساً له حتى يناير 2011. تتزعمه حاليا جوردان باردیلا منذ 5 نوفمبر 2022. (المترجم).

جيف (بهدف تهدئة الوضع): حسنًا، يمكننا الذهاب الآن...

بيير (ينظر إلى ساعته): متبقى ساعة على الموعد!

جيف: وهل سنمضيها في هذا الشجار...

جوزيان (بصوتٍ ضعيف): جيف معه حق، لمرة أخيرة نجتمع معًا، بيير هل يمكنك أن تحاول ان تجعل الأمور تمر بسلام.

بيير: لقد سئمت من المحاولات! ثم ما سبب لم شملنا هذا؟ لأن كل واحد منا يبحث عن نصيبه من الشيك الذي سنحصل عليه في غضون ساعة. بعد ذلك كلُ منا سيذهب إلى حياته، ولن نلتقي بعد ذلك مطلقًا. كفاكم نفاق!

جيف: في المقابل، لا جدوى من الشجار.

بيير: أنت إنسان لطيف، ولكن انزل إلى الأرض! هل تعلم ماذا تقولان عنك من وراء ظهرك؟ حسنًا، أنت رجل لطيف، بالضبط، تقولان إنك أغرقت مصنع أبيك في الديون، وإنك لا تستطيع حتى الاستيقاظ بمفردك في الصباح.

يتسمر جيف في مكانه من الصدمة.

فريدريك (تقف): أنا لم أقل هذا قط!

بيير: هذا صحيح. يشبه هذا موقفك السياسي. أنتِ ليس لديكِ حتى شجاعة التعبير عن أراءك، جوزيان، على الأقل، لديها ميزة شجاعة التعبير عن رأيها.

جوزيان (تحاول النهوض ممسكةً بجريدة الصياد الفرنسي): من الأفضل الذهاب لاستنشق الهواء النقي...

فريدريك: انتظر، من تظن نفسك كي تعطينا دورسًا...؟

بيير: ربما لا أكون شخصًا عظيمًا، لكني لم أقل نعم أمام السيد المحافظ من أجل لفت نظره.

فريدريك (بانفعال): ماذا تريد أن تقول بالضبط؟

بيير: تتعالين علينا لأنكِ تمتلكين العُشْب الاصطناعي والمدفأة الريفية والعوارض الخشبية. وبالرغم من كل هذا، أرى أن حياتك المترفة الجديدة هي حياة مُحْزِنة. ماذا فعلتِ لتحصلين على كل هذا؟ تزوجتِ من طبيب تخدير وأنجبتِ طفلين أساءتِ تربيتهما! الحياة لا يوجد بها تخدير كلي...

فريدريك (تقف لتواجهه): وأنت ما الشيء الاستثنائي الذي فعلته في حياتك؟ ترى في نفسك مؤلفًا لأنك ترجمت ثلاث روايات رومانسية. ترى في نفسك كاتبًا للسيناريو لأنك كتبت بعض المسلسلات الكوميدية التافهة.

بيير: أطفالك هم من يشاهدون هذه المسلسلات التي تنعتينها بالتافهة. وتلك الروايات التي تنعتينها بالرومانسية لو أنكِ لم تخجلي من شرائها لكنتِ قرأتِها. على أي حال، أنتِ لستِ في حاجة لقرأتها. فحياتك بأكملها عبارة عن سرك. أنتِ شاهدتِ بالطبع مسلسل "البيضاء"، ذلك المسلسل الذي تتزوج فيه الممرضة الشابة من الطبيب الغني. أو ربما تكون قصتك تشبه قصة "مدام بوفاري" " Madame Bovary"[1]...

فريدريك: أنت لا تفكر في الزواج بالطبع... لأنك شخص أناني! أتساءل، أي امرأة هذه التي ترغب في الزواج منك! سينتهي بك الحال كعجوز متصابي...

بيير: أفضل أن ينتهي بيَ الحال كعجوز متصابي من أن ينتهي بيَ الحال كعجوز غبي.

فريدريك: الغباء نسبي...

جوزيان على وشك أن تسقط ولم يلحظ أحد هذا.

جوزيان: أتمنى ألا تزداد حالتي سوءًا... أشعر بطنينين في أُذني...

بيير: وهذا هو ما لا أحتمله فيكِ، إن حاصل مستوى معيشتك مبالغ فيه مقارنة بمستوى ذكائك. مستوى ذكاءك الذي يُخَيِل لكِ أن راتب عمال النظافة يستنزف الميزانية المخصصة لنزهة العطلات، العطلات التي تقضينها في Club Med [2] "نادي البحر المتوسط" الذي ينظم رحلات في جميع دول العالم للتعرف على عادتهم وأخلاقهم.

يحدق بيير وفريدريك ببعضهما. تنهار جوزيان وتسقط على الأرض، يتوجه الثلاثة نحوها في حالة ذهول.

فريدريك: جوزيان! هل أنتِ بخير؟

---

[1] " Madame Bovary" مدام بوفاري رواية أولى للكاتب الفرنسي جوستاف فلوبير صدرت عام 1856. (المترجم).

[2] هي شركة فرنسية، تم إنشاؤها في عام 1950 تقوم بشكل أساسي بتسويق أماكن الإقامة في جميع أنحاء العالم. (المترجم)

تضرب فريدريك على خَدِ أختها بقوة ويصعب إنعاشها. تتفاعل جوزيان لكنها تظل فاقدة للوعي إلى حد ما.

بيير: من الأفضل نقلها إلى المستشفى.

ظلام

بعد الظهر

يعود الأخوة الأربعة. تساعد فريدريك جوزيان على المشي.

جوزيان: كل شيء على ما يرام الآن...

جيف: يجب أن تستريحي قليلًا، أليس كذلك...؟

جوزيان: علينا الذهاب إلى المحامي، أعتقد أننا تأخرنا على الموعد، وأنتم بحاجة إلى إمضائي.

جيف: اتصلت بالوكالة لتأجيل الموعد، يمكنك أن تذهبي وتستريحي...

جوزيان: حسنًا...

تتجه جوزيان تجاه لغرفة ترافقها فريدريك.

بيير: هل تعتقد أن الشجار السابق هو السبب؟ لم أكن أعرف أنها حساسة هكذا...

جيف: لا أعرف. أنا أيضًا أكلت من التونة، وسارت الأمور على ما يرام ... فريدريك معها حق، قد تكون حساسية من التونة.

بيير: أعتقد أنها إذا كانت تعاني من حساسية من التونة، في سنها هذا، لكانت قد أدركت ذلك من قبل. ليست هذه هي المرة الأولى في حياتها التي تأكل فيها التونة.

جيف: ماذا قال الطبيب؟

بيير: لا أعرف، فريدريك هي من تحدثت معه.

تعود فريدريك.

جيف: هل تعاني من حساسية؟

فريدريك: لا...

بيير: تسمم غذائي؟

فريدريك: لا علاقة بحالتها بما أكلته...

بدا الاثنان في حيرة.

جيف: كنت أشك في ذلك...

بيير (ساخرًا): هل هي الأعراض الأولى لانقطاع الحيض؟

فريدريك: جوزيان مصابة بالنكاف ... أعطاها الطبيب مضادات حيوية...

جيف (مندهش): النكاف؟ أليس هذا مرض طفولة؟

بيير (مازحا): ما الغريب في ذلك؟ بالنظر إلى عمرها العقلي...

يحاول بيير التقليل من دراما الموقف في حين ينظر إليه الأخران نظرة لوم.

بيير: الأمر على ما يرام... المرض ليس قاتلًا.

فريدريك: لا، لكن جيروم يقول عندما نصاب بأمراض الطفولة في مرحلة البلوغ، قد تكون هناك مضاعفات.

جيف: أي نوع من المضاعفات؟

فريدريك: تشوهات جنينية للحوامل في حالة الحصبة الألمانية...

بيير (ساخرًا): إذا كان هذا هو الشيء الوحيد... ففي حالة جوزيان...

فريدريك (بخبث): بالنسبة للرجال، النكاف، تؤدي عدوى الخصيتين، وأحيانًا إلى عقم دائم.

يتجمد بيير وهو يستوعب هذه المعلومات. حالة من الصمت.

بيير (يتحدث إلى جيف للتخلص من الموقف): هل أصبتَ بالنكاف وأنت صغير؟

جيف: نعم، وأنت؟

بيير: لا أعرف...

تعود جوزيان. يصمت بيير.

جوزيان: لا أستطيع النوم، لذا...

جيف: ما زال الوقت مبكرًا، الموعد الساعة الخامسة.

يرن هاتف جوزيان المحمول. تجيب، لا تزال تتحدث بصوت عالٍ، بنفس اللطف المتصنع كما كانت في المكالمة الهاتفية الأولى.

جوزيان: مرحبًا نعم ... نعم، أنا ... نعم، مرحبًا ... (تغيير نبرة صوتك، تصبح طبيعية أكثر) آه، عفوًا، باسكال، لم أتعرف على صوتك. كيف حالك...؟ (كارثة) زوجتك ...؟ حادث سيارة ... آه، اللعنة ... أنا آسفة حقًا ... آه، نعم، حسنًا ... وكم كان عمرها ...؟ آه، نعم، هذا ليس كثيرًا ... وهل ماتت حقًا ...؟ حسنًا، نعم، إذا أخبروك ... اسمع سيقوم التأمين بتعويضك ... كم عدد الكيلومترات التي

قطعتها على عداد المسافات؟ آه،... وزوجتك، ليس لديها شيء؟ حسنًا، هذا هو الشيء المهم، أليس كذلك؟ لم تكن مخطئة، على الأقل ...؟ أوه، ماذا نفعل إذا لم نستطع التوقف من أجل الرد على الهاتف ...! لا أدري ماذا يريدون ... الجمعة؟ نعم ... نعم، حسنًا، باسكال ... إلى اللقاء.

تغلق الخط.

جوزيان: كان طبيب أسناني.

ينظر إليها الآخرون بذهول. تدرك جوزيان معنى هذه النظرة.

جوزيان: أقول طبيب الأسنان. نشترك معًا في فرقة مسرح...

لحظة من الذهول.

جيف: هل يشارك طبيب أسنانك في فرقة مسرحية؟

جوزيان: نعم، يشارك كأحد الهواه... نقوم بتمثيل مسرحية" النسوة المتعالمات" "les Femmes Savantes"[1].

فريدريك: طيب الأسنان يلعب دورًا في مسرحية "النسوة المتعالمات" ...؟

جوزيان: نعم.

بيير: طبيب أسنان يمثل على المسرح، هذا أمر غير معقول. لا بد أنه متحول.

فريدريك: هل أنتِ متأكدة من أنه طيب أسنان؟

بيير: بالطبع هو لم يخبر أحد أنه طبيب أسنان، لا يحب أن يكون هذا نوعًا من التفاخر...على أي حال، لابد أنه لن يمثل سوي مسرحية "النساء المتعالِّمات"، لا قلق من ذلك...

جوزيان: إنها أسناني الأمامية التي أشعر بالقلق بشأنها ... لقد عزز كل أسناني الأمامية، لكنني لا أعرف كم من الوقت سيستمر ... لدينا جميعًا أسنان ضعيفة في العائلة.

بيير: عيب آخر ورثناه عن آبائنا.

فريدريك: مع ميراثك، يمكنك تحمل تكاليف عمليات الزرع، مثلما فعلت...

---

[1] " les Femmes Savantes" النِّسوة المتعالمات مسرحية هزلية شعرية في خمسة فصول للشاعر الفرنسي موليير. سخر فيها مما شاع عند بعض النِّسوة في عصره من تحذلق ونزوع إلى التفلسف والتظاهر بالمعرفة. (المترجم)

جوزيان: آه ... في نفس الوقت، لا أعرف ما إذا كان الأمر يستحق كل هذا العناء ... بعد سن الخمسين، كما تعلم، يكون لدينا أشياء كثيرة ضعيفة. عندما نقوم بإصلاح شيء، فهذا يشبه السيارات. نقول، حسنًا، إذا استمرت بضع سنوات أخرى، ولكن سيكون هناك قطعة أخرى تحتاج إلى تصليح...

بيير: إنه أمر مضحك، لم أكن أعرف أن لديك هذا الشغف بالسيارات ...

جيف (ينظر إلى ساعته): حسنًا، هذه المرة، علينا الذهاب. جوزيان، هل أنتِ متأكدة أنك بخير؟

جوزيان (تقف وهي مليئة بالطاقة): نعم، بكل تأكيد! أنا لم أمتُ بعد، على الأقل حتى أستلم نصيبي.

جيف: هل لديك دفتر عائلة الوالدين؟ كاتب العدل يريد صورة منه...

تبحث جوزيان في حقيبتها وتخرج الوثيقة وتعطيها له.

جوزيان: ها هو!

بيير (متعجبًا): هل يمكنني رؤيته؟

تتردد جوزيان.

جوزيان: لماذا ...؟

ينظر إليها الأخرون متعجبون أيضًا من ترددها.

بيير: لا أعرف، لم أره من قبل ... لست متأكدًا حتى من أنني أعرف الاسم الثالث لجدتي لأبي ...

تعطيه جوزيان دفتر العائلة، يتصفحه بيير، بينما يستعد الأخرون للذهاب.

بيير: أراهن أنكم لا تعرفون متى ولدتُ...؟ أنتم حتى لا تتذكرون تاريخ عيد ميلادي ... يتجاهل الآخرون سخرية بيير. يواصل بيير تصفح دفتر العائلة وتتجمد ابتسامته.

بيير (يقرأ): الطفل الخامس ...

بيير لم يعد يمزح، ينظر إلى الآخرون الذين يتجمدون في أماكنهم.

بيير: هل كنتم تعلمون أن لدينا أخًا خامسًا؟

جوزيان (بعد فترة): نعم ...

فريدريك: أعتقد ذلك ... لم أكن متأكدة...

جيف يبدو غير منزعج، يبحث في جيوبه.

جيف: أين وضعت مفاتيحي...؟

بيير: هذا هو رد فعلك، بعد ان عرفت أنه كان لدينا أختًا خامسة وماتت...

توقف جيف عن البحث عن مفاتيحه، مدركًا خطورة هذه المعلومات، تنحني فريدريك على كتف بيير لتشاهد دفتر العائلة.

فريدريك: إيميلي. ماتت بتاريخ... كان عمرها خمسة عشر يوما ...

بيير: أسبوعين، فترة طويلة...تكفي للتعلق بها... (يتحدث إلى جوزيان) إذًا أنتِ كنت تعلمين، لماذا لم تخبرينا بأي شيء؟

جوزيان: أمي لم تتحدث أبدًا عن ذلك ... ما الفرق الذي كان سيحدثه هذا الأمر؟

ظلام

المساء

يدخل الأشقاء الأربعة الغرفة قادمين من الخارج. يخلعون المعاطف في صمت. يجلس بيير وفريدريك.

جوزيان (بسعادة عارمة): هذا أمر يدعو للاحتفال، أليس كذلك؟

ينظر إليها الآخرون. نشعر بجو كئيب. إنهم ممزقون بين الرضا عن تسوية مسألة مهمة والشعور بأن صفحة في حياتهم قد طويت للتو. جوزيان، التي لا يبدو أنها تلاحظ هذه التفاصيل الدقيقة، تبحث في خزانة المطبخ.

جوزيان: أعتقد أنني رأيت زجاجة من النبيذ الفوار هناك. لن نتركها للمالك الجديد... الجو دافئ بعض الشيء، لكن على أي حال...

تُخرج الزجاجة من الخزانة، ثم أربعة أكواب...

فريدريك (مترددة): أعتقد أنني لن أشارككم الشراب، أنا لست من محبي النبيذ الفوار...

جوزيان (تفتح الزجاجة): هيا، أشربي معنا!

تناول جوزيان كأسًا لفريدريك فتأخذه منها، ثم توزع باقي الأكواب على الأخرين.

بيير (ساخر): نشرب في نخب ماذا؟

جيف (بدون مرح) نخب البيع.

جوزيان: نخب الشيكات التي معنا!

يقرعون الأكواب.

جوزيان: لقد كان لطيفًا، هذا الطبيب ... (تتحدث إلى جيف) هل هو متزوج؟

جيف: لا أعتقد ...

فريدريك: لقد بدا مخنثًا بعض الشيء، أليس كذلك؟

جوزيان: على أي حال، كنت سأطلب منه أن يقوم بعمل بعض التدليك لي...

بيير (منزعج): حسنًا، يكفي هذا...

فريدريك: على أية حال، لم يكن كبيرًا في السن. من الغريب أن يقوم رجل في مثل عمره بشراء منزل ريفي... (متأثرة) من المضحك أن تعتقد أن هذا المنزل قد بِيع، وأننا لن نعود إلى هنا مرة أخرى ...

جيف: نعم. كان جميلًا، في فصل الصيف ...

بيير: لقد مضى وقت طويل منذ أن كنا هنا ...

فريدريك: على أي حال، لقد مضى وقت طويل منذ أن التقينا هنا...

جوزيان: أربعة عشر عامًا.

ينظر الأخرون إليها بذهول.

جوزيان (بابتسامة جامدة): آخر مرة تواجدانا فيها هنا نحن الأربعة، كان منذ أربعة عشر عامًا.

لا يزال الثلاثة الآخرون ينظرون إليها بذهول من هذه الدقة، ويلاحظون من ناحية أخرى تَأثر تحاول أن تخفيه.

جوزيان: كنا نحتفل بعيد ميلاد برونو. لا زال يتحدث معي عن هذا الاحتفال عندما نشاهد الصور. لقد قدمنا له حفلة لطيفة ... كان ذلك قبل عام من طلاقي ... وأنا أيضًا، في ذلك الوقت، كنت أرغب في رؤيتكم كثيرًا.

صمت الأخرون بضيق بالرغم من أن جوزيان كانت لا تزال تحتفظ بابتسامتها الجامدة.

جوزيان: فريدريك، هل ستغادرين الليلة؟

فريدريك: نعم، هذا في الطبيعي ... لست مضطرةً لذلك. معي عودة مفتوحة ...

جيف: يمكنك البقاء معنا حتى الغد. سنوصلك إلى المطار.

بيير (ساخرًا): حسنًا إذا كنتِ حقًا في عجلة من أمرك، فاذهبي ... الجميع يعرفك أن لديكِ مشاغل كثيرة...

جيف (بغلظة): بيير ...

يفعل بيير حركة تعني السمع والطاعة.

فريدريك: حسنًا، حسنًا.

جوزيان: هكذا نقضي المساء معًا! سهرة مع العائلة...

صمت.

بيير: هل ترغبون في الذهاب إلى مطعم؟ إنه يوم السخاء، الدعوة على حسابي...

فريدريك: يا له من كرم ...

يحاول بيير عدم الرد على الاستفزاز.

بيير: حسنًا، لا يوجد مطعم وقت الظهيرة،... والمطعم الموجود في الحي سيئ ... ما رأيكم في فتح مطعم هنا...؟

جوزيان: من الممتع تناول الطعام هنا، ما رأيكم؟ ستكون آخر مرة نتناول فيها الطعام معًا.

جيف: ماذا سنأكل؟

جوزيان: سنكتشف هذا. سنُفْرِغُ الخزائن.

ينقب جيف في الخزانة ويسحب ما يجد.

جيف (بأسلوب نادل مطعم راقي): معكرونة سباغيتي يبلغ عمرها عشر سنوات مصحوبة بصلصة صغيرة من علبة منتهية الصلاحية.

جوزيان: أوه، نحن أيضًا بدأنا في تجاوز الموعد النهائي للصلاحية.

تختفي فريدريك في المطبخ مع المؤن. تحذو جوزيان حذوها. يبقى بيير وجيف بمفردهما.

بيير: أنا على علم بوضع الشركة... ماذا ستفعل؟

جيف: لا أعرف. لا يزال هناك الكثير من الأمور لتسويتها.

صمت.

جيف: هذا ما تعتقده، وما يعتقده الأخرون؛ ترون أنني السبب في إفلاس الشركة لأنني لم أكن على قدر المسئولية؟

بيير: أعتقد أن هذه الشركة كانت يمكن أن تستمر مع شخص يوافق على تكريس خمس عشرة ساعة في اليوم للعمل بها مثلما كان يفعل أبي. لكن أبي كان من جيل آخر في زمن آخر، أنت لا تستطيع عمل ذلك، وأنا أرى أن هذا شيء طبيعي، لا أحد منا يستطيع عمل ذلك.

جيف: لم يكن من المفترض أن أوافق على تولي المهمة.

بيير: كان لابد من وجود كبش فداء يتولى المهمة...

وقت.

جيف: ربما سأفتح مطعمًا ...

بيير (مذهولًا): مطعم؟ لكنك لا تعرف حتى كيف تطبخ معكرونة حتى...

جيف: ليس مطعمًا فاخرًا. كنت أفكر أكثر في مطعم بيتزا. لكي أقدم البيتزا، ليست هناك حاجة لمعرفة كيفية الطهي، وعلى كل حال سأبحث عن عمالة.

بيير (بقلق): هل لديك فكرة مدروسة؟

جيف (مترددًا): نعم ... المطعم الذي تناولنا فيه الغداء. المالك يريد بيعه ... لهذا السبب أخذتكم إلى هناك. لمعرفة رأيك.

يشعر بيير بالحرج ولا يجيب.

جيف: ما رأيك؟

بيير: لماذا هنا؟

جيف: لم لا؟ لقد سئمت أنا وكاترين من منطقة باريس. وبالنسبة للأطفال سيكون هذا أمر رائع. يوجد سكن بأعلى المطعم. سوف نتنفس هواء الريف النقي. وبما إني سأغلق الشركة فلابد من التفكير في مشروع آخر، ما رأيك؟

بيير (بإحراج): حسنًا ... المكان ليس مناسبًا، أليس كذلك؟

جيف: إنه بجوار محطة القطار.

بيير: لا يوجد سوى قطارين في اليوم.

جيف: هناك شرفة.

بيير: نعم، شرفة محشورة بين السكة الحديد والطريق العام. إنه وضع سيء بعض الشيء في الريف. ثم إن الشرفة ستكون عَمَلِيَة عندما يكون الطقس جميلًا فقط، أي في فصل الصيف فقط. لكن بقية العام، ليس هناك الكثير من الناس، أليس كذلك؟ عندما ذهبنا لم يكن هناك عدد كبير ... في رأيك، لماذا يريد المالك بيعه؟

جيف (بخيبة أمل لعدم حماس أخيه للفكرة): لو فكرنا بهذا الشكل، لن نفعل أي شيء أبدًا ... علينا أن نُحْضِر الناس ونجعلهم يعتادوا المكان، هذا أمر مهم. ثم إنه لا يوجد مطعم بيتزا في المنطقة. أنا متأكد من أن هذه الفكرة ستنجح. ليس معنى أننا بجوار شاطئ البحر، أننا نرغب في أكل السمك طوال الوقت.

بيير: ولا البيتزا أيضًا...

وقت.

بيير (قلق بشكل متزايد): هل التزمت بأي شيء يخص شراء هذا المطعم؟

جيف: وقعت على نفسي التعهد ... اكتشفت أن المطعم كان معروضًا للبيع عندما عرضت المنزل للبيع. كان عليَّ أن أتصرف بسرعة. لذا تصرفت هكذا...

بيير: والآن ماذا تريدني أن أخبرك. إذا كنت تريد رأيي، لماذا لم تأخذ رأيي من قبل؟

جيف (يحاول التبرير): لأنني كنت متأكدًا من أنك ستنتقد الفكرة. أنت دائمًا على علم بكل شيء. وتنجح في كل شيء.

بيير (يتنهد): توقف عن قول هذا. لقد مضى أكثر من عام وأنا لم اكتب شيئًا ولم يُباع لي شيئًا... ليس من باب الشكوى أقول لك هذا؛ ببساطة لقد تجرعت الفشل مررًا، صدقني ليس فقط في حياتي المهنية...

يرى بيير أن شقيقه مستاءً.

بيير: معذرة يا جيف. أنت تطلب رأيي، وأنا أعطيه لك. لكنني لست متخصصًا في إدارة المطاعم. قد أكون مخطئًا...

تقل حدة التوتر.

بيير: إذًا أنت أيضًا تعتقد مثل فريدريك، أنني أناني ومغرور؟

جيف: أعتقد أنك يجب أن تحاول أن تكون أكثر تساهلًا ... لكي تفهم الآخرون...

بيير: أعرف. ما كان ينبغي أن أتحدث بهذه الطريقة مع فريدريك منذ قليل.

جيف: لطالما كنت أنت المغرد خارج السرب بالنسبة للجميع ... لكنك على حق. ليس من الجيد أن تقبل كل شيء دون أن تقول شيء.

بيير: كنت أتمنى لو بقينا قريبين من بعضنا البعض. أكثر اتحادًا مما نحن عليه.

جيف: لم نكن متحدين أبدًا، كما تعلم ... ربما لا تتذكر هذا... عندما كنا أطفالًا، فعلنا أسوأ الأشياء. ذات مرة، طاردتنا أنت بمطرقة ... لم أخف أبدًا في حياتي مثلما خفت وقتها، أتذكر دائمًا هذا عندما أسمع أغنية كلود فرانسوا ...

ينظر بيير إليه دون فهم.

جيف (يغني): لو كان لدي مطرقة[1] ...

---

[1] "Si j'avais un marteau" (إذا كان لديَّ مطرقة) هي أغنية شهيرة لكلود فرانسوا (Claude François). (المترجم)

بيير (يستكمل) سأضرب أبي، وأمي، وأخوتي، وأخواتي. (الاثنان معًا مثل الكورال) أوه، أوه! سأكون سعيدًا بذلك...

جيف (بجدية أكبر): أردت دائمًا أن أسألك. إذا كنت قد أمسكت بي في ذلك اليوم، هل كنت ستحطم جمجمتي حقًا؟

يتظاهر بيير بالتفكير.

بيير: لا أعتقد ذلك. لكنني كنت سعيدًا جدًا لأنني أخفتك بشدة. كنت الأصغر فيكم، أن يخاف مني واحدٌ منكم، كان هذا مبهجًا بالنسبة لي وقتها. بعد ذلك قالت لي فريدريك أنني مجنون. بدت مقتنعة بذلك لفترة طويلة كنت أتساءل عما إذا كنتُ حقًا كذلك. بعض الأحيان أسأل نفسي السؤال نفسه... أنت على حق، لم نكن أبدًا على وفاق نحن الأربعة. هذه هي أسطورة الأيام الخوالي. في النهاية لم يتغير شيء ...

جيف: ما تَغَيَّر هو أنه في ذلك الوقت، كان علينا أن ندعم بعضنا البعض. بعد بيع المنزل، لم يعد هناك شيء يُلزمنا بهذا. لكن الآن يجب أن نتحد ونتفاهم لنكون أعمام وخالات جيدون لأطفالنا.

بيير: أبناؤنا... ماذا تبقى لنا نحن الأربعة؟

جيف: لا شيء. لا شيء لا يمكن تقسيمه إلى أربعة.

بيير: هل ندمت على أننا بعنا المنزل؟

جيف: فات الأوان، على أي حال.

بيير: كان ذلك بالفعل قبل التوقيع، أليس كذلك؟ لم أستطع أن أرى نفسي أقضي العطلة الصيفية هنا مع جيروم، ليتباكى على فجوة الضمان الاجتماعي والضرائب التي خنقت المهن الليبرالية في فرنسا ... يدهشني دائما، لأنه لم يحاول تقريب الفجوة بيننا. هذا صحيح، إذا كان الضمان الاجتماعي يعاني من عجز، فهذا بسبب هؤلاء الناس يكسبون الكثير من المال، أليس كذلك؟

فجأة ينطفئ الضوء.

جيف: اللعنة، انقطاع كهربائي.

بيير: هناك علبة ثقاب على المدفأة.

جيف: بل الماء هو المطلوب...

بيير: ماذا؟

جيف: أعطني زجاجة الماء الموجودة على الطاولة.

يعطيه بيير الزجاجة دون أن يفهم. يملأ جيف خزان المصباح بالكربيد[1] الذي على المدفأة ويشعل عود ثقاب ويضيء المصباح، ينبعث من المصباح ضوء خافت يضيء الغرفة.

بيير: ما هذا؟

جيف: ألا تتذكر؟

بيير: لا ...

جيف: كانت السماء تمطر طوال اليوم. كان ذلك نادرًا إلى حد ما هنا في شهر أغسطس. كان أبي قد قرر أن يأخذنا لنشاهد القواقع. وقتها أخذنا إلى جميع متاجر الأجهزة الكهربائية من أجل العثور على هذا.

بيير: آه نعم، المصباح الكربيدي ...

جيف: عندما كان لدينا مصباحان أو ثلاثة مصابيح يدوية في المنزل، كنت أتساءل

لماذا نحتاج إلى مصباح كربيدي للذهاب إلى القواقع. لا بد أن هذا يُذَكِره بشبابه.

بيير: كيف يعمل؟

جيف: الكربيد نوع من الكربون. يقطر الماء عليها قطرة قطرة فينبعث منه غاز محترق.

بيير: لم أتذكر ذلك.

جيف: لأنك لم تأت معنا. أيقظنا أبي في الساعة الرابعة صباحًا، وأنت من لم تستطع النهوض من السرير ...

بعد وقت قليل.

جيف: ذهبنا نحن الاثنان إلى هناك. كان ذلك مضحكًا. كان يتكلم بصوت خفيض كأنه كان خائفًا من أن تهرب القواقع بعيدًا إذا سمعتنا. لقد ملئنا دلوًا

---

[1] المصباح الكربيدي أو مصباح غاز الأستلين هي مصابيح بدائية تنتج وتحرق غاز الأسيتيلين، والذي ينتج عن تفاعل كربيد الكالسيوم مع الماء. (المترجم)

كاملًا ... في صباح اليوم التالي، كانوا في كل مكان في المنزل. لقد نسينا وضع غطاء على الدلو. ببساطة، كان لدينا ممرًا من القواقع هذه الليلة...

بعد وقت قليل.

جيف: أعتقد أن أبي أصيب بخيبة أمل لأنك لم تأت معنا ...

يعود التيار الكهربائي.

بيير: لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.

يطفئ جيف المصباح. صمت. يشعر بيير بالحرج ويغير الموضوع.

بيير: وأسرتك الصغيرة، كيف حالها؟

جيف: بدأت كاترين التدريب كمحاسبة. بهذا الشكل، يمكنها أن تهتم بحسابات المطعم، أنا لم أُخلق لمثل هذه المهمة...

بيير: وأطفالك؟ لم أراهم منذ فترة طويلة ...

جيف: هم بخير.

بيير: إنه مضحك. أنا لا أقول هذا مجاملة لك، لكني لم أر قط أطفالًا مهذبين مثل أطفالك.

جيف: هذا لأنك لا تراهم كثيرًا ...

بيير (يبتسم): أنت على حق. يجب أن نكون قادرين على اختيار أطفالنا. وأن يكون الأطفال قادرين على اختيار والديهم ...

جيف (مستمتعًا): هل تعلم أن ما قلته للتو هو قمة الغباء؟

بيير: أعرف. هذا لأنني ليس لديَّ أطفال. فكرة أن يكون لديَّ طفلًا ولا سيما ولد. لست متأكدًا من أنه يمكنني حقًا أن أخبره لماذا تستحق الحياة أن نعيشها. أنا مثل أبي. لا أستطع قول ذلك لابني ...

جيف: قد تكون بنت ...

ينهض بيير.

بيير: معذرةً لا بد أن أُجرِيَ مكالمة هاتفية.

يخرج بيير هاتفه المحمول ويخرج. وعندما رأى جيف يتجه نحو الغرف، عاد بيير إلى الغرفة.

بيير: إنه أنا ... نعم، أعلم ... لكن لم يحن الوقت لإخبارهم بذلك. دخلت في شجار مع أختي مرة أخرى ... أوه، كالعادة، لكنني قلت كل ما كان يضايقني منها. لم يكن ينبغي أن أقول هذا، لكن هذا يبعث على الارتياح ... (يغير نبرة صوته) حسنًا، هل اتصلت بالمختبر ...؟ سلبي! (يتنهد بارتياح) واو ... لقد أطمئنن! أعترف أنني كنت قلقًا. قد لا نتحمل المخاطر بمثل هذا في سن الخمسين ... (بقلق) بالمناسبة، عندما تصل إلى المنزل يمكنك البحث في سجلي الصحي الموجود في الدرج السفلي لمكتبي، أخبريني هل أصبت بالنكاف من قبل؟

يعود جيف ويجلس. بيير، بارتباك يبتعد باتجاه الغرف لينهي مكالمته الهاتفية. تصل فريدريك من المطبخ، وفي يدها إسفنجة.

بيير (يبتعد): لا، سأشرح لكِ ... لا ، ليس الأمر عاجلًا ولكن ...

يختفي بيير نحو غرف النوم. تمسح فريدريك الطاولة. تنظر إلى جيف جالس خاملًا بينما هي نشطة.

فريدريك: (مازحةً): لا بأس، الأمر ليس صعبًا جدًا.

جيف (بقلق): أنا بخير.

وقت.

جيف (يحاول اختيار كلماته): كما تعلمين طبيعة بيير، لا يجب أن تلوميه كثيرًا ...

فريدريك (وهي متأثرة): هذه المرة، تجاوز الحد. لم يتعامل معيَّ أحد من قبل بمثل هذه الطريقة. هل تعتقد أنني أستطيع أن أتجاهل ما قاله لي للتو بسهولة؟

جيف: ربما اضطر في كثير من الأحيان إلى تحمل الكثير من الأشياء دون أن يقول أي شيء ... ولأكون صادقًا، فهو ليس الوحيد الذي...

تنظر إليه فريدريك بدهشة بعض الشيء.

جيف: اسمعي يا فريدريك، لم يعجبني ما فعله جيروم من الضحك والنكات التي قالها منذ دخوله من البوابة ليلة جنازة والدتنا. كان من الممكن أن ننتهز الفرصة ويكون الأمر فرصة للتجمع العائلي. لم يكن الأمر وجبة صيد. لا نلوم زوجك بشكلٍ مباشر... بل كان عليكِ ان تلفتي نظره لما يفعله (وقفة، بغضب مكبوت) كان ينبغي أن يتركنا قليلًا كعائلة مع بعضنا، ويفعل ما فعله في مرة أخرى، وقتها كنتُ أرغب في إعطائه لطمة على وجهه.

فوجئت فريدريك بتجاوز جيف غير المعتاد.

فريدريك (مضطرب): معذرةً ... أعرف، لقد كان ما فعله بغيضًا. قلت له هذا فيما بعد، أنا متأكدة أنه...

جيف: فيما بعد، أي بعد فوات الأوان ...

فريدريك: على أي حال، لن يحدث ذلك مرة أخرى ...

جيف: هذا مؤكد، فريدريك، نحن لا ندفن أمنا مرتين ... (ينهض جيف) هناك أشياء لا ينبغي أن تفوتنا أبدًا، ونحن الأربعة قد فاتنا الكثير منها.

فريدريك (تحاول أن تلقى بالخطأ على بيير): هو أيضًا، ألا يمكنه أن يكون أكثر تسامحًا...؟

جيف: لمرة واحدة، سأقول كلمة طيبة. التسامح موجود في كل المنازل ...

فريدريك: حسنا ...

جيف: سأضع مفرش الطاولة.

يعود بيير من غرفته. جوزيان تصل بالكاميرا.

جوزيان: لماذا لا نلتقط آخر صورة نحن لأربعة هنا؟ لدي مفتاح التقاط الصور التلقائي!

يبدو الآخرون محرجين قليلًا، لكن جوزيان قد ضبطت الكاميرا بالفعل على وضع الالتقاط ووضعتها على الطاولة. يصطف الأربعة ويأخذون أماكنهم أمام المدفأة، نفس الوضع الذي كانت عليه صورة المدرسة القديمة. ينطلق الفلاش. يبتعد الأربعة بعضهم عن بعض. تضع جوزيان الكاميرا بعيدًا.

جوزيان: سأطبع أربع نسخ منها وسأضعها في أُطر ... ستكون هدية أعياد الميلاد لكم.

لحظة.

جوزيان: حسنًا، سأطهو المعكرونة.

ينهض جيف وفريدريك.

جيف: سأفتح الصندوق.

فريدريك: أنا أجهز الطاولة.

بيير (مازحًا): أنا حقا لا أرى ما يمكنني فعله ...

فريدريك: هل يمكنك مساعدتي في ترتيب الطاولة ...

يختفي جيف وجوزيان في المطبخ. يعد بيير وفريدريك الطاولة فيصمتان ثم يجلسان. يبدو بيير مبتهجا إلى حد ما. يُصْفِر بيير.

فريدريك: تبدو فجأة سعيد جدًا... هل بسبب بيع المنزل أو لاحتمال عدم رؤية بعضًا البعض مرة أخرى ما يجعلك سعيدًا جدًا؟

بيير: بالنسبة لإصابتي بالنكاف، سأستعلم عن الأمر، لكنني علمت للتو أنني لست مصابًا بالإيدز...

تندهش فريدريك.

بيير: كنت في علاقة...

فريدريك: (ببرود): مبروك ... لكن احذر. للحياة الزوجية بداية جيدة دائمًا.

بيير: حسنًا، أعتذر مما بدر منى في وقت سابق. لا بد أنها أزمة منتصف العمر. (وقفة) كما تعلمين، أنا لم أصبح الشخص الذي كنت أحلم به...

فريدريك: لكنك، على الأقل، حاولت...

بيير: نعم. نعم، حاولت. لكنني لم أنجح. ربما مشكلتي هو أنني ينقصني المثابرة... هل تعرفين ما ألومك عليه، بداخلي؟

فريدريك: آه، واضح أن الأمر لم ينته بعد؟

بيير: أننا لم نتشارك الأشياء معًا. قبل ثلاثين عامًا، كنا على الأقل متفقين على نقطة واحدة، وهي أننا لا نريد أن نعيش مثل والدينا. ولكننا فعلنا العكس تمامًا، أعتقد أنكِ كنت مخطئَة أيضًا.

فريدريك، تحبس دموعها، وتنظر إلى المدفأة.

فريدريك: أشعر بالبرد.

بيير: مع الأسف لا يوجد خشب ...

فريدريك: المدفأة لم تُستخدم من قبل. خسارة أن تتسخ الآن ...

صمت.

بيير: هل تعلمين أن الشركة على وشك التصفية؟

فريدريك: أي شركة؟

بيير: شركة أبي! أخيرًا، قرر جيف...

فريدريك: لا ...

بيير: أخبرتني جوزيان هذا الصباح. كنتِ ستعرفين على أي حال.

فريدريك: تخليت أن الأمر سينتهي على هذا النحو.

بيير: على أي حال، ربما ليس سيئًا للغاية.

فريدريك: من المؤكد أن جيف لم يخلق ليدير أعمالًا...

بيير: خاصة شؤون الأسرة.

فريدريك: المال الذي سيحصل عليه من بيع المنزل، قد يسمح له بعمل أي مشروع...

بيير: نعم ...

صمت.

فريدريك: أنا وجيروم قررنا للطلاق ...

بيير (متفاجئًا): حقا ...؟ لماذا...؟

فريدريك: أوه ... مساعدته الخاصة تُدعى فريدريك أيضًا، يميل إلى الخلط بيننا... في العيادة يتخذها زوجة له، فتاة تصغره في العمر، وفي المنزل، يتعامل معي مثل الخادمة...

بيير (لا أيعرف ماذا يقول): أنا آسف ...

فريدريك (مستمتعة): لا تقل لي أن عدم رؤيتك لجيروم يُفْطِر قلبك...

بيير (مسترخٍ قليلًا): يُفْطِر قلبي، لا. هذا مبالغ فيه...

فريدريك: بالنسبة لي أيضًا، أعتقد أن الأمر ليس بهذا السوء. الأطفال كبار. سأكون قادرة على العيش.

بيير: العيش بمفردك ليس سهلًا، من يخبرك بهذا الكلام هو أعزب عجوز.

فريدريك: كما تعلم، الحياة الزوجية ليست وردية دائمًا، سترى. لكنني لا أريد أن أحبطك. آمل فقط ألا تترك زوجتك المستقبلية على الأقل من أجل فتاة أصغر سنًا.

بيير (سعيدًا بالكلام) – زوجتي المستقبلية ...؟ على أي حال، في غضون عشر سنوات سأكون في الستين من عمري.

تعود جوزيان مع طبق من المعكرونة. يتبعها جيف بقطع من الخشب في يديه.

جيف: كان هناك كرسي قديم في المطبخ، أكلته الديدان تمامًا. يمكننا أن نشعل القليل من النار.

بيير: لدينا الكثير من الكتب القديمة.

جوزيان: إلى جانب ذلك، أقترح أن نحرق جميع الأثاث، هذا هو أفضل شيء نفعله لهذا الأثاث. سيكون هذا أسرع من نقله!

يشعل جيف النار. يُحَدِق الجميع بتمعن بألسنة اللهب.

بيير: يذكرني هذا بصورة كانت موجودة في كتاب التاريخ، عندما كنت في المرحلة الابتدائية. لا أعرف لماذا، عَلِقَت بذهني هذه الصورة لبرنارد باليسي، خزَّاف من عصر النهضة، يكسر أثاثه، في المنزل، حتى لا يترك فرن الحطب بلا وقود من أجل أن يُكمل أعمال الخزف. قُدِمَ كعمل بطولي. الفنان المفلس ضحى بكل شيء من أجل فنه. إنه لشيء مضحك. ليس لديَّ تقريبًا أي ذكرى من طفولتي. لماذا أتذكر هذا؟

فريدريك: إنها تذكرني بأغنية: الكتب المشتعلة، وكنت أتخيل المعلمة وسط النيران! كان أول شعار تخريبي تعلمته في روضة الأطفال.

بيير: وأنتِ يا جوزيان، هذا يذكرك بشيء ...

جوزيان (تشاهد احتراق الكتب): كان لدي مدرس لغة فرنسية عندما كنت في المدرسة الثانوية. رجل لا يمكن تحديد عمره. ليس عجوزاً جدًا، ولكنه ليس شابًا. في أحداث مايو عام 1968علمت أن جميع كتب مكتبته قد أُحرقت أمام الجميع. كنوع من حرق المؤلفات بعد ذلك لم أره في حالته الطبيعية في أي حصة. تساءلت كيف لم يُصاب بالجنون.

وقت.

بيير: وأنت يا جيف؟

جيف (يبتسم): أشعلت النار. ألا يكفي هذا؟

لا يزالون يراقبون النار في صمت. تأخذ جوزيان قطعة من كرسي لوضعها في المدفأة. تتوقف لأن وزنها شد انتباهها.

جوزيان: هذا غريب. إنه خفيف جدًا. يبدو أنها محشوة بالكامل من الداخل...

لا يزال الأخرون غارقون في تخيلاتهم ولا ينتبهون لما قالت.

جوزيان: قرأت شيئًا عن النمل الأبيض في جريدة "الصياد الفرنسي" يبدو هذا مريع، لأننا لا نرى هذا النمل. إنه يأكل كل شيء في صمت، شيئًا فشيئًا، عبر السنين. أي شيء مصنوع من الخشب. حتى إطارات الصور ... في يوم واحد، يُمكنه أكل السقف، وترى السقف يهبط عليك دون سابق إنذار.

ينظر الثلاثة الآخرون إلى بعضهم البعض، غير متأكدين مما إذا كانوا سيضحكون أم يقلقون. ينظرون إلى السقف. يأخذ جيف قطعة الخشب ويفحصها.

فريدريك: ماذا إذن؟

جيف (مشككًا فيه): ربما يكون مجرد دود. لكن لا أعرف. النمل الأبيض، أنا لم أره قط... ما شكله؟

بيير (لجوزيان): ألم تكن هناك صورة في المقالة؟

جوزيان: لم أنتبه. تعيش في تجمعات، مثل باقي النمل أو النحل.

بيير: لكن النمل لا يصنع العسل ...

تفحص جوزيان الكرسي الذي تجلس عليه.

جوزيان: هذا الكرسي أيضًا به الشيء نفسه.

ألقى الآخرون نظرة قلقة تجاه كراسيهم، كما لو كانوا يخافون أن تنهار بهم فجأة.

بيير: ربما يجب أن نلقي نظرة على خشب السقيفة.

جيف (واقفًا): لا أعرف ما إذا كان لدينا سلم.

ينهض بيير ويخرج مع جيف. تشاهد جوزيان وفريدريك الموقف بقلق.

فريدريك: اللعنة!

جوزيان: لحسن الحظ أننا وقعنا العقد للتو.

تنظر إليها فريدريك بغضب.

فريدريك: انتظري! إذا كان هذا حقيقي، فلا يمكننا التظاهر بأننا لم نعرف.

جوزيان: لم نكن نعرف عندما وقعنا ...

فريدريك: ستكون عملية احتيال! ومن ثم لا يمكننا تحمل هذه المسؤولية! تخيل الملاك الجدد يموتون مدفونين تحت الانقاض. قد يكون لديهم أطفال ...

جوزيان: هذه مشكلتهم... عندما تشتري منزلًا، عليك التأكد من أساسه...

جوزيان: أو أننا نحرق المنزل قبل المغادرة. في هذه الحالة سيدفع التأمين التعويض، هذه حوادث تحدث كل يوم...

فريدريك: أن يحدث هذا في اليوم التالي لبيع المنزل، سيكون أمرًا غريبًا، سوف يكون يُفتح تحقيق في هذا.

يعود جيف وبيير.

جوزيان: ماذا وجدتما؟

جيف: يصعب الجزم بشيء. لا نرى بوضوح. ينبغي فحصه من قبل متخصص.

فريدريك: لا يزال حالة الخشب أفضل، أليس كذلك؟ قد نكون في ورطة ...

بيير: لا أعرف ما هو التشريع بشأن هذا. لكن من المؤكد أنه يمكن للمشتري مقاضاتنا. إذا أدرك أنه قد اشترى منزلًا متأكلًا من النمل الأبيض. مجرد إعادة التأسيس سيكلفه نصف سعر المنزل.

جوزيان: ونحن، إذا اضطررنا إلى سداد قيمة خشب البناء، سيصبح سعر البيع سعر كوخ لا سعر منزل.

بيير (يتنهد): أرى أن الأمر بسيط للغاية.

فريدريك: ماذا نفعل؟

جيف: سنرى غدًا، لكن سيكون من الأفضل تعليق البيع حتى يأتي متخصص ويفحص الخشب. سنكون أكثر اطمئنانًا. إذا كان من المتوقع ان نجتمع ونلقى، فلا ينبغي أن يكون ذلك في محكمة.

فريدريك: مع وجود أضرار أخرى...

جوزيان: مرحبا بالميراث! كنت أتساءل من أين يأتي كل هذا الغبار...

فريدريك(تنهض): أعتقد أنه من الأفضل أن ننام.

جوزيان (بقلق): هل تعتقد أن النوم آمن هنا؟ ربما من الأفضل أن نذهب إلى فندق؟

بيير: سيكون أمرًا شيطانيًا إذا سقط هذا المنزل علينا هذه الليلة، لأننا لم نكن هنا معًا منذ أربعة عشر عامًا.

الجميع على وشك المغادرة نحو غرف النوم.

جيف (مازحًا): حاول ألا تعطس بشدة.

يضحك الأشقاء الأربعة...

ظلام.

اليوم التالي

فريدريك، مرتدية ملابسها ومتزينة، جالسة بمفردها في غرفة المعيشة، تدخن سيجارة وهي تشرب فنجان قهوة. تصل جوزيان في ثوب النوم ولا تبدو نشيطة. تحاول فرك أذنيها بإصبعها الصغير.

جوزيان: لا بد أن هؤلاء البرتغاليون الذين قابلتهم في القطار هم السبب فيما حدث لي بالأمس...

فريدريك: (في حيرة من أمرها): لا أفهم؟

جوزيان: من كانوا في القطار!

تفضل فريدريك عدم الدخول في نقاش معها.

جوزيان: أنني عطشانة بسبب معكرونة الأمس. آمل ألا تكون الصلصة منتهية الصلاحية منذ فترة طويلة. (تسكب لنفسها كأسًا من الماء وتنظر إلى أختها) أوه؛ تبدين مرهقة...

فريدريك: (بتأثر): نمت بشكل سيئ، هذا كل شيء ...

جوزيان: أليس بسبب خلافك مع بيير ظهر أمس؟ أنت تعرفينه، دائمًا ما يقول بصوت عالٍ ما يمكن قوله بصوت منخفض...

تنظر فريدريك إليها، مندهشة، لكنها تفضل عدم المواجهة معها. تصنع جوزيان فنجان قهوة لنفسها.

جوزيان: لم أنم جيدًا أيضًا. بسبب التفكير في ذلك النمل الأبيض. حلمت أنهم يأكلوننا أيضًا أثناء الليل. بدءًا من الدماغ.

تنظر فريدريك إليها بحيرة. تغمس جوزيان شفتيها في قهوتها، تعبس وتمسك بطنها.

جوزيان: هذه القهوة تجعلني أشعر بالغثيان ... (وقفة) أعتقد أنني أريد أن أتقيأ...

تخرج جوزيان وتلتقي بيير الذي يصل دون أن يستيقظ بشكلٍ جيد.

بيير: أنت أيضًا لا تبدين بحالة جيدة.

فريدريك: شكرًا لك. قالت لي جوزيان للتو الشيء نفسه.

يسكب بيير لنفسه القهوة.

بيير: كنت أقول لنفسي أيضًا ... عندما تبلغ سندريلا خمسين عامًا وتذهب إلى الفراش بعد منتصف الليل ... في صباح اليوم التالي لا بد أن رأسها سيدور مثل اليقطين.

فريدريك: وهل ترى في نفسك سندريلا ...؟

بيير: يمكنك دائمًا وضع المكياج قبل الخروج للشارع.

فريدريك: لقد وضعت المكياج بالفعل...

يقلب بيير قهوته.

بيير: لقد اقترب احتفال أعياد الميلاد. هذا يزعجني. عادة ما أكون وقح مع الجميع، لا أعرف لماذا...

صمت.

فريدريك: ذات يوم أخذني أبي في سيارته قبل الذهاب إلى العمل. كان عمري خمس أو ست سنوات. أخبرني أن بابا نويل غير موجود. هكذا. دون أن أسأله شيئًا. في البداية كنت سعيدة جدًا لأنه تعامل معي مثل فتاة بالغة. لكن لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا بالنسبة لي عندما فهمت ما كان يقصده بذلك ...

بيير: في كل مرة كان يذكرنا بمدى سذاجتنا، وهو يقول بنبرة ساخرة: هل تؤمن بسانتا كلوز!

فريدريك: على سبيل الانتقام، قلت لأبنة المُدَرِسة إن بابا نويل غير موجود. في صباح اليوم التالي صفعتني والدتها مرتين ... ليس فقط لأن سانتا كلوز ليس موجودًا، ولكن لأنه كان ينبغي أن أحتفظ بذلك لنفسي!

بيير: هل يجب أن نسامح والدينا دائما ... بحجة أنهم ربما يكونوا أيضًا قد عاشوا طفولة غير سعيدة؟

فريدريك: اعتقدت أنني عندما أصبح أمًا، سأصبح أكثر تسامحًا مع أمي. لكن هذا لم يحدث، لأنني عرفت إلى أي مدى حُرمت من عاطفة لم تمنحها لي.

تعود جوزيان مرتدية ملابسها، وفي يدها كيس قمامة.

جوزيان: جيف ليس جاهزًا بعد؟ بالتأكيد، دائمًا ما يكون الأخير ... حسنًا، سأرمي باقي المعكرونة بعيدًا، وإلا ستتعفن رائحتها مع هذه الصلصة، لم تكن رائحتها جيدة عندما أكلناها ... (وقفة) ثم أنني تقيأت في كيس القمامة، حتى لا أسد الحوض ...

يندهش بيير وفريدريك. تخرج جوزيان بكيس القمامة. جيف يصل بدوره، غير مستيقظ مثل اليوم السابق. لكنه يرتدي ملابسه وعلى استعداد للذهاب. يصنع لنفسه كوبًا من القهوة.

فريدريك: حان الوقت لتوديع هذا المنزل ... إنها المرة الأخيرة التي نتناول الإفطار هنا معًا. مثلما كنا صغارا ...

صمت محرج.

فريدريك: لن يمنعنا شيء من رؤية بعضنا البعض مرة أخرى ...

بيير: نعم ... (بمرارة) لكن ما الجدوى من هذا ...؟

تعود جوزيان بسرعة...

جوزيان (بنبرة درامية): لقد سُرِقَت صندوق القمامة!

بيير *(ساخرًا)*: هل كان هناك شيء ثمين به؟

يخرج جيف متعجبًا ليرى.

جوزيان: إنه أمر لا يصدق! يسرقون القمامة في المدن، والآن يسرقونها في الريف!

يمضي وقت. يعود جيف.

جيف: لم يُسرق شيء، لقد احترق. لأنه من البلاستيك، لم يتبق منه شيء. لحسن الحظ أن النار لم تشتعل بالمنزل...

ينظر جيف لجوزيان نظرة مرتابة.

جيف: هل وضعتِ رماد المدفأة في سلة المهملات الليلة الماضية؟

ينظر بيير وفريدريك أيضًا إلى جوزيان.

جوزيان: اعتقدت أنه لم يعد به جمرًا ...

جيف: أعتقد أنه كان لا يزال يحترق تحت الرماد.

بيير: حسناً, ليس هناك حاجة لتبليغ الشرطة...؟

جوزيان: إنه أمر لا يُصدق، أن تحترق صناديق القمامة بهذا الشكل. هذا هو خطير.

يتبادل الآخرون نظرة مفهومة، فقد اعتادوا على سوء نية جوزيان.

بيير: قد يكون من الأفضل دفن الصندوق المحترق في الحديقة. ما تبقى من صلصة بولونيز، مع الرماد والفحم الساخن ... يمكن أن يؤدي إلى تفاعل كيميائي ليس له مثيل...

جيف (في مكان آخر): هناك مجرفة في غرفة الأدوات.

ينظر إليه الجميع.

جيف (فهم معنى النظرة): حسنًا، سأذهب ...

تواصل جوزيان مسار أفكارها المتعرجة.

جوزيان: كان لديه اسم أول غريب، هذا الطبيب ...

بيير: وليام.

جوزيان: وليام ... إنه اسم لكمثرى... كنت سأترك له رقم هاتفي، لكن ...بدا قليلا ...

بيير: قليلا ماذا ...؟

جوزيان: ألم ترى أنه غير طبيعي؟

فريدريك التي تشعر بالارتياح تلاحظ رد فعل بيير، الذي قرر التحدث.

بيير: لدي شيء أقوله لكم... يجب أن أخبركم به الآن...

تستمع جوزيان إليه. تبتسم فريدريك بشكل مشجع.

بيير: هذا الطبيب الذي اشترى المنزل. هو صديقي...

فريدريك: (متفاجئة): حسنًا، لقد قررت أن تفاجئنا ...

جوزيان: هل كان الطبيب بمثابة خيال مآته؟

فريدريك: لماذا فعلت ذلك؟ كان بإمكاننا تسوية الأمر إذا كنت تريد الاحتفاظ بهذا المنزل...

بيير: كنت أخشى أن يكون الأمر معقدًا ...

فريدريك: (ساخرة): بالطبع، الأمر أبسط بكثير.

جوزيان: وبعد كل هذا، ليست صفقة خاسرة...

بيير: المنزل معروض للبيع منذ أكثر من عام. لم يتقدم أحد لشرائه...
صمتت فريدريك وجوزيان، كل واحدة تفكر بطريقتها بعد الإفصاح عن هذه الحقيقة.
بيير: أذكركم أنني اشتريت منزلًا قد يكون متآكلًا تمامًا من النمل الأبيض...
جوزيان (تقارن الكلام شيئًا فشيئًا): أنت من بعت لنفسك... وأنت من اشتريت من نفسك.
يعود جيف من الحديقة.
جيف: هذا جنون!
فريدريك: يمكن ان تقول إن...
لكن جيف كان يتحدث عن شيء آخر.
جيف: انظروا إلى ما وجدته للتو أثناء الحفر في الحديقة لدفن القمامة!
يُظْهِر عَظْمَة.
جوزيان: ما هذا؟
بيير: يشبه بشدة عظم الفخذ ...
فريدريك: تقصد ... عظام بشرية؟
بيير (إلى جيف): هل كان معه الهيكل العظمي بأكمله؟
جيف: لم أستمر في الحفر. لا أعرف ماذا وضعتم في سلة القمامة، لكن الرائحة كريهة. رميت كل شيء في الحفرة وجئت بسرعة.
جوزيان: يمكننا استدعاء الشرطة، لكن ... هل تدركون؟ أن نجد جثة مدفونة في حديقتنا! قد نكون في ورطة ...
تبدو فريدريك قلقة بعض الشيء.
فريدريك: إذا كانت بالفعل جثة، فهي جثة من؟
وقت.
بيير: ربما أبي ...
يحدق به الآخرون، غاضبين من أنه ربما يمزح. لكن بيير لا يمزح.
بيير: آخر مرة جاءت فيها أمي إلى هنا كانت معه. وبعد ذلك، لم نتمكن من رؤيته مرة أخرى. من أخبرنا أنه عاد إلى الأمازون بعدها...؟

جوزيان (لبيير): أوه، لا، لا ...

فريدريك: (لست متأكدة من شيء): على أي حال ...

يستوعب جيف هذه المعلومات. يبقى بيير صامتًا.

فريدريك: حسنًا، لن ننجرف وراء هذا الافتراض. ربما يكون عظم بقرة.

بيير: يشبه بشدة عظم الفخذ ...

فريدريك: هل تعرف أي شيء عن عظم الفخذ؟

بيير: صديقي أخصائي علاج طبيعي ... كنت أراجع امتحاناته...

جيف: ثم لماذا ندفن بقرة في حديقتنا ...؟

جوزيان: أو ربما يكون الجار قاتل متسلسل، ويدفن ضحاياه في حديقتنا، حتى لا يفتضح أمره ...

بيير: إذا كنا سنأتي لقضاء عطلة هنا، فأنا أفضل أن تكون هذه هي جثة أبي ... فهذا أقل خطورة من جار مريض نفسي ...

فريدريك: حسنًا، لن نحسم هذا الآن ... أقترح أن نغادر من هنا. ونأخذ معنا العَظْمَة إلى باريس لفحصها.

يفكر الجميع. عليهم الاستعداد للمغادرة. يذهب الجميع لجمع الأغراض. عادت جوزيان بحقيبة كبيرة بالإضافة إلى الحقيبة التي كانت بحوزتها عند وصولها.

بيير (متشككًا): ألم يكن لديك حقيبة سفر واحدة فقط عند وصولك؟

جوزيان: استعدت بعض الأشياء التي بها الذكريات! ما تركه لنا النمل الأبيض...

جيف (لبيير): هل أغلقت العداد؟

بيير: نعم ... (بعد تردد) سأتحقق.

يختفي بيير للحظة للتحقق.

بيير: حسنًا، يمكننا الذهاب.

يستعد الأشقاء الأربعة لمغادرة المنزل حاملين أمتعتهم في أيديهم.

جيف (بنظرة دائرية أخيرة): هل نسينا أي شيء ...؟

بيير: سآخذ عَظْمَة الفخذ ... سأريه وليام ليفحصه...

جيف: من وليام؟

فريدريك: سنشرح لك لاحقًا ...

جوزيان: لقد جئنا إلى هنا لتسوية مشاكل الميراث ... ولكن يبدو أننا لن نترك هذا المنزل أبدًا...

يخرج جيف وفريدريك وجوزيان، يبقى بيير، يمسك بحقيبته الصغيرة في يده ثم يعود لأخذ صورة أخوته من على المدفأة ويحدق بها للحظة مع ابتسامة مريرة.

بيير: الذكريات ... لا تشغل مساحة كبيرة، لكن حملها ثقيل.

ينادونه من الخارج.

فريدريك (من الخارج): بيير؟

جيف (من الخارج): هل أنت قادم؟

جوزيان (من الخارج): ماذا يفعل؟

يعيد بيير الصورة إلى مكانها.

بيير: حسنًا، أنا قادم! (يأخذ العَظْمَة من على الطاولة) لقد نسيت عَظْمَة فخذ أبي! (متحدثًا إلى نفسه) الآن تم لم شمل الأسرة أخيرًا ... (ينظر إلى العَظْمَة) حسنًا، إنها البداية ...

ظلام.

النهاية

جان بيير مارتينيه

ولِد جان بيير مارتينيه عام 1955 في أفير-سور-واز. صعد إلى خشبة المسرح في البداية كعازف طبول في فِرق موسيقي الروك المختلفة قبل أن يصبح سيميولوجي إعلاني. ثم أصبح كاتبًا للتليفزيون وعاد إلى المسرح ككاتب درامي. كتب مئات السيناريوهات للشاشة الصغيرة، وأكثر من مئة مسرحية بعضها أصبح بالفعل من كلاسيكيات المسرح الفرنسي مثل (مسرحية الجمعة 13 ومسرحية بوكر التعري) وهو اليوم من أكثر الكُتاب شهرةً في فرنسا والدول الناطقة باللغة الإسبانية.

منال ممدوح يوسف

ولدت منال ممدوح يوسف عام 1983 بمصر, تعمل أستاذًا مساعدًا بقسم اللغة الفرنسية بكلية الألسن جامعة المنيا، لها عدة أبحاث منشورة محليًا ودوليًا. بجوار عملها الأكاديمي تُترجم الأعمال الأدبية والكتب غير الأدبية.

هذا النص محمي بموجب قوانين حقوق الملكية الفكرية. أي انتهاك لتلك الحقوق دون إذن قد يؤدي إلى عقوبة تصل إلى 3 سنوات في السجن وغرامة قدرها 300,000 يورو.

Avignon – July 2023
© La Comédiathèque – ISBN 978-2-37705-966-9
https://comediatheque.net/